متشابه النظم في القرآن الكريم

كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة

(أُنموذجا)

الدكتور

سالم عبد الخالق عبد الحميد السكري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

ملخص بحث

متشابه النظم في القرآن الكريم

كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة (أنموذجًا)

وقد اشتمل هذا البحث علي أمور كثيرة من أهمها:

أولًا: بيان معني متشابه القرآن، وأهم المصنفات فيه، ومجالاته.

ثانيًا: أهمية علم المتشابه في كشف أسرار القرآن وإعجازه، والرد علي المبطلين والملحدين.

ثالثا: التعريف بالإمام بدر الدين بن جماعة وبيان مكانته العلمية الاجتماعية.

رابعا: أهمية كتاب (كشف المعاني في متشابه المثاني) في توجيه المتشابه، ويرجع ذلك إلى سهولة أسلوبه، وتنظيمه للآيات المتشابهة علي صورة أسئلة وأجوبة.

خامسًا: بيان منهج ابن جماعة في كتابه: كشف المعاني، والأساليب التي اعتمد عليها في توجيه المتشابه.

.... إلى غير ذلك مما اشتمل عليه البحث.

والله ولي التوفيق،،،،،

In the name of Allah the merciful

Search summary

Similar systems in the Qur'an

Detect similar meanings in the hereafter Ibn Group (model)

This research has included many things including:

First: the meaning of the Qur'an, most similar works, and areas.

II: the importance of similar flag in the miraculous nature of the Quran and secrets, and respond to the to

And atheists.

III: introduction to forward Badar bin group and scientific prestige and social statement.

IV: the importance of a book (revealed the meanings in the same hereafter) in similar guidance, due

To ease his style, and organizing similar verses picture questions and answers.

VA: I'm writing group curriculum statement: uncover the meanings, methods that relied on

Similar guidance.

.... Etc which encompassed in the search.

And Allah is the source

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه دراسة عن: متشابه النظم في القرآن وأشهر المصنفات فيه، وقد اخترت كتاب (كشف المعاني في متشابه المثاني) لابن جماعة أنموذجا لهذه الدراسة.

والذى دفعني إلى إختياره هو إعجابي بشخصية ابن جماعة ومنهجه في تفسير الآيات المتشابهة، فالذي يقرأ كتابه «كشف المعاني» يدرك براعته العلمية، وقدرته الفائقة في توجيه هذا اللون الدقيق من ألوان التفسير، ويحس منذ الوهلة الأولى أنه في رحاب عالم غزير العلم، متفرد الفكرة، لا يكل نفسه إلى مجرد النقل عمن سبقه، وإنما يمعن النظر، ويشحذ الفكر، ويأتي بكل ما هو جديد طريف.

وقد تميز كتاب ابن جماعة عن غيره من الكتب التي صنفت في هذا الفن-متشابه القرآن- بسلاسة أسلوبه، واستيفائه لكل الآيات المتشابهة، ووضع كل متشابه على هيئة أسئلة وأجوبة، الأمر الذي يدل على أهمية هذا الكتاب، وسهولة الرجوع إليه والإفادة منه.

وقد اقتضى البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره للكتابة فيه، وخطة البحث.

وأما المبحث الأول: فقد تحدثت فيه عن معنى المتشابه وأهم المصنفات فيه ومجالاته.

وأما المبحث الثاني: فقد تحدثت فيه عن التعريف بالإمام بدر الدين ابن جماعة، وشيوخه وتلاميذه، وأهم مؤلفاته، ووفاته.

وأما المبحث الثالث: فقد تحدثت فيه عن كتاب: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، وموضوعه، ومصادره، وقيمته العلمية، وتأثره بمن قبله، وتأثيره فيمن بعده.

وأما المبحث الرابع: فقد تحدثت فيه عن منهج الإمام بدر الدين بن جماعة في تفسير المتشابهات من خلال كتاب: {كشف المعاني}، والوسائل التي اعتمد عليها في توجيه المتشابه.

وأما الخاتمـة: فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وبعد: فهذا البحث ما هو إلا محاولة جادة ومخلصة في إلقاء الضوء على معني المتشابه وأهم المصنفات فيه ، وإبراز الجهد المتميز لابن جماعة في توجيه المتشابه، فإن كنت قد وفقت فيه فذلك فضل من الله تعالى – أحمد الله عليه – وإن كانت الأخرى فمني، وحسبي أنني اجتهدت، والخير قصدت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

دكتـور

سالم عبد الخالق السكري

المبحث الاول

معني المتشابه وأهم المصنفات فيه

أولًا – المتشابه في اللغة والاصطلاح:

أ) **<u>المتشابه في اللغة:</u>** تدور مادة {التشابه} في اللغة حول معني المشاركة بين شيئين في بعض الصفات أو الكيفيات، ومعني المماثلة، يقال: أشبه الشيء الشيء ماثله، وفي المَثل: من أشبه أباه فما ظلم.

وتشابه الشيئان واشتبها: إذا تماثلا في الصفات، ومنه قوله تعالـي: **"تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ"**(١) أي في الغي والجهالة، وقوله – عز شأنه: **"وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ"**(٢)، وفي آية أخرى: **"مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ"**(٣).

والمتشابهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات، والتشبيه: التمثيل، والشبهة: الالتباس وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضًا(٤)

هذا ولما كانت المماثلة والمشاركة في الأوصاف من شأنها أن تؤدي إلى الإلتباس والخفاء وعجز الذهن عن التمييز بين المتماثلات، وكلاله عن التحديق فيها، كما قال

---

(١) الآية (١١٨) سورة البقرة.

(٢) الآية (١٤١) سورة الأنعام.

(٣) الآية (٩٩) سورة الأنعـام.

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة (شبه) ص ٢١٨٩، ٢١٩٠، مختار الصحاح للرازي ص ٥٢٦ ، المصباح المنير للفيومي ج ١ ص ٤١٢ ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٥٤، القاموس القويم ج ١ ص ٣٤١.

القائل:

رق الزجاج وراقت الخمـر * فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قـــــدح * وكأنما قدح ولا خمـر

لما كان الأمر كذلك، ذهبوا يقولون: المشتبه والمتشابه ويريدون الملتبس الخفي أمره، فيقولون: اشتبهت الأمور يعنون أنها التبست وأشكلت، ويقولون: اشتبهت القبلة يعنون أنها خفيت على من يريدها فلا يدري في أي الجهات هي(٥).

ب) **المتشابه في الاصطلاح:**

المراد بالمتشابه هنا هو المتشابه اللفظي، وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه: فعرفه ابن الزبير في (ملاك التأويل) بأنه: ما تكرر من آيات القرآن لفظًا، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير(٦)، وعرفه الكرماني في (البرهان في متشابه القرآن) بأنه: ما تكرر في القرآن بألفاظ متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك(٧).

وعرفه الزركشي في البرهان بقوله: وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررًا(٨) أ.هـ

من خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن المراد بالمتشابه في القرآن هو: ما تكرر من القرآن لفظًا، أو مع اختلاف في العبارة والتركيب، في صور متعددة، وفواصل مختلفة، وأساليب متنوعة لغرض بلاغي.

- **أهمية علم المتشابه:**

وبهذا يتبين لنا أهمية علم المتشابه في إظهار إعجاز القرآن، وبيان أنه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وأيضًا – في الرد علي الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه، فقد دأب خصوم الإسلام – قديمًا وحديثًا – على الطعن والتشهير بكتاب الله

---

(٥) متشابه النظم في قصص القرآن الكريم، مقارنة وتحليل لأستاذنا الدكتور عبد الغني عوض الراجحي ص ٢ رسالة بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة تحت رقـم (٢٠٨٤).

(٦) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه لابن الزبير القرناطي ص ٧.

(٧) أسرار التكرار في القرآن المسمى بالبرهان ص ٦٣.

(٨) البرهان في علوم القرآن ص ٨٧.

تعالى، في غير ما إدراك للأمور، فحاولوا أن يجعلوا من هذا الحسن قبحًا، ومن هذه البلاغة عيبًا ومن هذا التنويع في العبارات المكررة للمعني الواحد اختلافًا، فزعموا به المزاعم السخيفة، وقالوا: إن التكرار في ذاته أمر مستهجن، وليته إذ تكرر كان بنجوة من هذه الاختلافات التي يلتاث بها، ومن أين يكون اختلاف والمعني واحد: وكيف تختلف الحكاية والمحكي واحد فيما كان من قبيل القصص، وإذا كان أحد الوجهين بليغًا كان الثاني لا محالة غير بليغ.

والحقيقة أن كلام الله تعالي فوق ما يظنون، وأعلى مما يتوهمون، وصدق الله: **" وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "**(٩) فكما أنه لا اختلاف بين آي القرآن في مدلولاتها، بأن تنفي إحداها ما تثبت الأخرى، ولا اختلاف بين مدلولاتها وبين ما ثبت في الخارج بالمشاهدة أو قاطع الدليل، كذلك لا اختلاف بين البعض منها والبعض في الفصاحة والبلاغة والإعجاز والمناسبة لمقتضى الحال، فلا تثبت هذه الأوصاف في البعض منها، وقد انتفت عن البعض الآخر، لأنها ثابتة للكل، فمهما يرى الرائي من اختلاف النظم والتركيب في قصة واحدة كررت، أو آية واحدة رددت وثنيت، فإنه بعد البحث والتنقيب واجد لهذا الاختلاف ما يبرره ويسوغه، بل ما يقتضيه ويستدعيه، فتعود الآيات في الحسن والجودة على تكررها متشابهة، وفي البلاغة والإعجاز على تخالفها متآلفة: **"قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"(١٠).**

هذا ومتي كانت المعاني الأصلية المقصودة حاصلة في عبارات وجمل فليس يضر بعد حصولها ما يرى في هذه العبارات من مفارقات واختلافات لفظية لا تضر بأصول المعاني، ولا تؤدي إلى تناقض أو تدافع بل يمكن الجمع والتوفيق بينها، وما كانت إلا من أجل الوفاء بحق البلاغة، ومن أجل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق والسباق والناحية التي يراد إبرازها من هذا المعني في موضع دون آخر(١١).

ثانيا: أهم المصنفات في متشابه القرآن:

---

(٩) الآية (٨٢) سورة النساء.

(١٠) الآية (٢٨) سورة الزمر.

(١١) متشابه النظم في قصص القرآن الكريم، مقارنة وتحليل لأستاذنا الدكتور عبد الغني الراجحي ص ٦، ٧، صفوة البيان في متشابه القرآن للدكتور السيد إسماعيل ج ١ ص ١٠، ١١.

بدأ التأليف في هذا العلم من جانب بعض علماء القراءات حيث ألف فيه حمزة بن حبيب الزيات المتوفي سنة ١٥٨هـ[١٢]، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المتوفي سنة ١٧٠هـ[١٣]، كما ألف فيه من القراء–أيضًا– علي ابن حمزة الكسائي المتوفي سنة ١٨٩ هـ وله كتاب: مشتبهات القرآن[١٤].

ثم نما هذا العلم – المتشابه اللفظي – ونضج التأليف فيه، وأصبح المؤلف يتناول المتشابهات مع محاولة إماطة اللثام عن أسرار هذا التشابه وبيان حكمه، ويعتبر كتاب: (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي المتوفي سنة ٤٢٠هـ هو البداية الجادة في كشف أسرار المتشابه اللفظي، وبيان الحكمة منه، وقد صرح في مقدمته بالغرض من تأليفه حيث قال: إني مذ خصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته، تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، تطلبًا لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها، فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين فما وجدت أحدًا من أهلها بلغ غاية كنهها ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانًا، وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبيانًا، ولطعن الجاحدين ردًا، ولمسلك الملحدين سدًا، وسميته: "درة التنزيل، وغرة التأويل"[١٥] أ.هـ

ثم توالت جهود العلماء بعد ذلك في هذا الفن، وأشهرها:

- البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المتوفي سنة ٥٠٥هـ، وقد تأثر فيه بكتاب: (درة التنزيل) للخطيب الإسكافي، ويظهر ذلك من قوله في مقدمته: وروى أبو مسلم[١٦] في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب كلمات معدودات منها،

---

(١٢) تشير المصادر القديمة إلى أن لكل منهما كتابًا في المتشابه لكنهما مفقودان، انظر: الفهرست ص ٥٥، شذرات الذهب ج١ ص ٢٤٠، ٢٧٠، ٣٢١.

(١٣) تشير المصادر القديمة إلى أن لكل منهما كتابًا في المتشابه لكنهما مفقودان، انظر: الفهرست ص ٥٥، شذرات الذهب ج١ ص ٢٤٠، ٢٧٠، ٣٢١.

(١٤) قام بتحقيقه الدكتور محمد داود ونشرته دار المنار سنة ١٤١٨ هـ.

(١٥) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٣.

(١٦) أبو مسلم هو: محمد بن محمد علي بن الحسين بن مهرايزد النحوي المعلم الأصفهاني، كان نحويًا غاليًا في الأعتزال، صنف تفسيرًا في عشرين مجلدًا، ولد سنة ٣٦٦ هـ، وتوفي سنة ٣٥٩ هـ، انظر: طبقات

وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها مستعينا بالله متوكلًا عليه[١٧] ا. هـ

ومن يقارن بين الكتابين يجد بينهما تشابهًا في الطريقة والمنهج وفي توجيه بعض الآيات المتشابهة، وقد صرح الكرماني فـي كتابه بالنقل عن الخطيب الإسكافي في أكثر من موضع، ومن ذلك ما ذكره عند تعليل قوله تعالي – في سورة البقرة: **"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ"**[١٨]، وقال في آل عمران: **" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ"**[١٩]، وقال في التوبة: **"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ"**[٢٠] حيث قال: الخطيب أطنب في هذه الآيات، ومحصول كلامه: أن الأول للنبي – ﷺ – والمؤمنين، والثاني: للمؤمنين، والثالث: للمخاطبين جميعًا[٢١].

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي المتوفي سنة ٧٠٨هـ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب بعد كتاب: "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي، إذ فيه بسط وبيان وتوضيح لدقائق القرآن، مع أسلوب علمي امتاز بالوضوح وحسن العبارة، وقد قال عنه الزركشي حين ذكر كتب المتشابه: وهو أبسطها في مجلدين[٢٢] وقال عنه السيوطي بعد أن ذكر كتاب (درة التنزيل): وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير[٢٣].

وقد اتبع ابن الزبير في كتابه طريقة الخطيب الإسكافي ومنهجه سواء في ترتيب المسائل، أو طريقة عرضها وتوجيهها إلا في أمور يسيرة، واعتمد الآيات التي ذكرها الخطيب في (درة التنزيل) وزاد عليها، وقد صرح بهذا في المقدمة بقوله: "... فحرك من فكري الساكن، وأضربت عن فسحته بالاستدراك بلكن، وأبديت بحول ربي من مكنون خاطري إلى الظهور، ما أثبته بعون الله وقوته في هذا المسطور، معتمدًا عين ما

المفسرين ص ٢١٣.

(١٧) أسرار التكرار في القرآن المسمى بالبرهان ص ٦٤.

(١٨) الآية (٢١٤).

(١٩) الآية (١٤٢).

(٢٠) الآية (١٦).

(٢١) أسرار التكرار في القرآن المسمى بالبرهان ص ٨٤، درة التنزيل وغرة التأويل ص ٢٦، ٢٧.

(٢٢) البرهان في علوم القرآن ص ٨٧.

(٢٣) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٤٦.

ذكره من الآيات، ومستدركًا ما تذكرته مما أغفله – رحمه الله – من أمثالها من المتشابهات[٢٤].

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني للإمام بدر الدين بن جماعة المتوفي سنة ٧٣٣هـ، وهو موضوع بحثنا، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الثالث.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦ هـ وهو – كما ذكر أبو يحيى في مقدمته – مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات، جمعه من كلام العلماء المحققين، مع ما فتح الله تعالى به عليه من فيض فضله المبين[٢٥]، وقد تأثر بالإمام بدر الدين بن جماعة في كتاب:(كشف المعاني) في الطريقة والمنهج واتباع أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة.

هذه هي أهم الكتب التي صنفت في متشابه القرآن، علي ما ذكره ابن النديم في (الفهرست)[٢٦]، وطاش كبرى زاده في (مفتاح السعادة)[٢٧]، والزركشي في (البرهان)[٢٨]، والسيوطي في (الإتقان)[٢٩] وغيرهم. ولا زالت جهود العلماء في كشف أسرار المتشابه تتوالي حتي عصرنا هذا، ومن أهم ما اطلعت عليه في ذلك:

١- رسالة بعنوان: متشابه النظم في قصص القرآن الكريم – مقارنة وتحليل لأستاذنا الدكتور عبد الغني عوض الراجحي – رحمه الله – وقد تقدم بها للحصول على درجة أستاذ في التفسير والحديث من كلية أصول الدين إحدى كليات الجامعة الأزهرية، وهي مودعة بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة تحت رقم (٢٠٨٤).

٢- جامع البيان في متشابه القرآن[٣٠]: للدكتور أبو سريع محمد أبو سريع وقد تناول فيه الآيات المتشابهة من أول سورة الفاتحة حتي آخر سورة الكهف، غير أنه أحيانًا يذكر

---

(٢٤) ملاك التأويل ج ١ ص ٨ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ١ طبعة مكتبة الإيمان بتحقيق الشيخ بهاء الدين عبد الموجود.

(٢٦) الفهرست لابن القديم ص ٥٥ تحت عنوان: الكتب المؤلفة في متشابه القرآن.

(٢٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ج ٢ ص ٥٢٤ نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(٢٨) البرهان في علوم القرآن ص ٨٧.

(٢٩) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٤٦.

(٣٠) قامت بطبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٤١٢هـ.

بعض الآيات المفردة، والتي تعتبر من قبيل المشكل، أو موهم الاختلاف والتناقض، ثم يقوم بشرحها وإزالة الإشكال عنها. ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالي – في سورة البقرة: **"وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"**(٣١).

حيث قال: والسؤال الوارد هو: كيف تصح هذه الحكاية واليهود لا يقولون ذلك في النصارى، والنصارى لا يقولون ذلك في اليهود؟

والجواب: أن اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، فحكي الله عن أهل الكتاب – وهم اليهود والنصارى- ما قالوه(٣٢).

٣- صفوة البيان في متشابه النظم في القرآن(٣٣): للدكتور السيد إسماعيل علي، وقد صدر في جزئين ويشتمل علي قسمين:

القسم الأول: الدراسة النظرية لمتشابه النظم في القرآن.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية من أول سورة الفاتحة وحتي آخر سورة الناس، وقد تأثر فيه بالإمام بدر الدين بن جماعة وصرح بالنقل عنه في أكثر من موضع.

ثالثا – مجالات المتشابه في القرآن:

ذكرت- فيما سبق – أقوال العلماء في تعريف المتشابه، ومنها قول الزركشي في البرهان: وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة(٣٤)، وقد يفهم من هذا أن المتشابه مقصور على قصص القرآن، ولكن الناظر في الآيات التي تناولها العلماء في هذا الفن، ومنهم ابن جماعة يجد أنها كثيرة ومتنوعة وفي مجالات مختلفة، منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالعبادات والمعاملات، ومنها ما يتعلق بالأخلاق، ومنها ما يتعلق بالقصص- كما ذكر الزركشي.

---

(٣١) الآية (١١١).

(٣٢) جامع البيان في متشابه القرآن ص ٧١.

(٣٣) قامت بطبعه مطبعة عباد الرحمن بمصر، الطبعة الثالثة ١٤٣٣ هـ.

(٣٤) البرهان في علوم القرآن ص ٨٧.

ومن أمثلة ما جاء في العقيدة: قوله تعالي- في سورة الأنعام: **"ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"**(٣٥)، وقال في سورة غافر: **"ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"**(٣٦) ومن ذك أيضًا قوله تعالي – في سورة آل عمران: **"إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"**(٣٧)، وكذلك في مريم(٣٨)، وفي الزخرف: **"إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ.... الآية"**(٣٩) ومنها أيضًا قوله تعالي في سورة النساء: **"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا"**(٤٠) وقال في الآية الثانيـة: **"وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"**(٤١).

ومن أمثلة ما جاء في العبادات قوله تعالي: **"فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ"**(٤٢) وقوله: **"وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ"**(٤٣)، وقوله: **" فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ"**(٤٤).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالي – في سورة النساء: **"وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ"**(٤٥)، وقوله في سورة المائدة: **" وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ "**(٤٦) ومن أمثلة ما جاء في مجال المعاملات: قوله

---

(٣٥) الآية (١٠٢) سورة الأنعام.

(٣٦) الآية (٦٢) سورة غافر، وانظر في توجيه الآيتين كشف المعاني ص ١٦٤، ١٦٥.

(٣٧) الآية (٥١) سورة آل عمران.

(٣٨) الآية (٣٦) سورة مريم.

(٣٩) الآية (٦٤) سورة الزخرف، وانظر في توجيه الآيات كشف المعاني ص ١٢٩.

(٤٠) الآية (٤٨) سورة النساء.

(٤١) الآية (١١٦) من نفس السورة، وانظر في توجيهها كشف المعاني ص ١٣٨.

(٤٢) الآية (١٨٤) سورة البقرة.

(٤٣) الآية (١٨٥) من نفس السورة.

(٤٤) الآية (١٩٦) من نفس السورة، وانظر في توجيه الآيات أسرار التكرار في القرآن للكرماني ص ٨٣.

(٤٥) (١) الآية (٤٣) سورة النساء.

(٤٦) الآية (٦) سورة المائدة، وانظر: كشف المعاني ص ١٣٨.

تعالي في سورة العنكبوت: **"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا"**(٤٧)، في الأحقاف: **"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا"**(٤٨) وفي لقمان: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ... الآية"(٤٩) ومن ذلك أيضًا قوله تعالي – في سورة النساء: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا...** الآية"(٥٠)، وقوله – في سورة المائدة: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...** الآية"(٥١) ، ومن أمثلة ما جاء في مجال الأخلاق:

قوله تعالي – في سورة البقرة:"وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"(٥٢) وقال بعده: **"اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِين"**(٥٣) .

ومن ذلك قوله تعالي في سورة آل عمران: **"وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"**(٥٤) وفي لقمان: **"وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"**(٥٥)، وفي سورة الشورى: **"وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"**(٥٦)، ومن أمثلة ما جاء في مجال القصص: آيات قصة آدم – عليه السلام، ومنها قوله تعالي-في سورة البقرة: **"وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ"**(٥٧) وفي سورة الأعراف: **"وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ"**(٥٨). ومن ذلك أيضًا قوله تعالـي: **"قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ**

---

(٤٧) الآية (٨) سورة العنكبوت.

(٤٨) الآية (٥١) سورة الأحقاف.

(٤٩) الآية (١٤) سورة لقمان، وانظر كشف المعاني ص ٢٨٨.

(٥٠) الآية (١٣٥) سورة النساء.

(٥١) الآية (٨) سورة المائدة، وانظر كشف المعاني ص ١٤٢.

(٥٢) الآية (٤٥) سورة البقرة.

(٥٣) الآية (١٥٣) من نفس السورة، وانظر في توجيه الآيتين ملاك التأويل لابن الزبير ج ١ ص ٣٢.

(٥٤) الآية (١٨٦) سورة آل عمران.

(٥٥) الآية (١٧) سورة لقمان.

(٥٦) الآية (٤٣) سورة الشورى، وانظر ملاك التأويل ج ١ ص ٩٥.

(٥٧) الآية (٣٥) سورة البقرة.

(٥٨) الآية (١٩) سورة الأعراف، وانظر: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٥، ملاك التأويل ج ١ ص ٢٨، ٢٩ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري ص ٩، ١٠.

مِنِّي هُدًى"([٥٩])، وفي الأعـراف: **"قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ"**([٦٠]) وفي سورة طه: **"قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ"**([٦١]) إلى غير ذلك من الآيات المتعددة، الأمر الذي يدل على إعجاز القرآن في كل القضايا والموضوعات التي عرض لها.

* * *

([٥٩]) الآية (٣٨) سورة البقرة.

([٦٠]) الآية (٢٤) سورة الأعراف.

([٦١]) الآية (١٢٣) سورة طه، وانظر: ملاك التأويل ج ١٢ ص ٣٠، ٣١.

المبحث الثاني

التعريف بالإمام بدر الدين بن جماعة

١) **اسمه ونسبه:** هو أبو عبد الله بدر الدين: محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي، كنيته أبو عبد الله، ولقبه شيخ الإسلام بدر الدين، ويعرف منسوبًا إلى جده الرابـع " جماعة "[٦٢]

٢) **مولده ونشأته:** اتفقت المصادر التي ترجمت لبدر الدين بن جماعة على مكان وزمان مولده، فذكرت أنه ولد بـ (حماة) بسوريا، وكان ذلك ليلة السبت الرابع من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة هجرية (٦٣٩ هـ)[٦٣]، ونشأ في كنف أسرة حموية عريقة عرفت بالعلم والصلاح، وذلك أن والده، هو الشيخ برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، المتوفي سنة ٦٧٥ هـ كان من علماء الحديث المشهود لهم بالتقوى والورع[٦٤]، وقد غرس في ولده " محمد " حب الشريعة والتفقه فيها، والزهد في الدنيا ومتاعها.

٣) **شيوخه وتلاميذه:** أما عن شيوخه فقد تلقى ابن جماعة العلم على أئمة عصره في فنون مختلفة، وكان من أبرز شيوخه:

أ- العلامة جمال الدين بن مالك – صاحب الألفية – في حلب.

ب – شيخ الإسلام مجد الدين بن دقيق العيد في مدينة قوص بصعيد مصر.

ج – القاضي تقي الدين بن رزين في القاهرة.

وغير هؤلاء من كبار علماء عصره كابن عزون، وابن أبي اليسر، وابن القسطلاني، وأصحاب البوصيري[٦٥].

---

(٦٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٦٣، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٣ ص ٣٦٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد ج ٦ ص ١٠٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٩ ص ١٣٩١.

(٦٣) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٠٥، طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ١٣١٠ البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

(٦٤) المنهل الصافي لابن تغري بردي ج ٤ ص ٥٤٠، معجم العمران في المستدرك على معجم البلدان لمحمد أمين الخانجي ج ٢ ص ١٧٧.

(٦٥) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ١٤٠، البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣، شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٨، وانظر في ترجمة شيوخه كتاب القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره للدكتور عبد الجود خلف ص ٦٠-٨٠.

وأما عن تلاميذه: فقد كان لنبوغ ابن جماعة في التدريس، وحسن تربيته لتلاميذه أثر في إقبال الطلاب عليه، والإفادة من علمه، وقد تخرج على يديه جماعة من خيرة العلماء أذكر منهم:-

أ – العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي – صاحب طبقات الشافعية الكبرى – المتوفي سنة ٧٧١ هـ

ب – المؤرخ الكبير: صلاح الدين الصفدي – صاحب كتاب الوافي بالوفيات – المتوفي سنة ٧٦٤ هـ.

ج – الإمام المحدث نور الدين على بن جابر الهاشمي، المتوفي سنة ٧٢٥ هـ.

إلى غير هؤلاء الأئمة الأعلام أمثال الحافظ شمس الدين الذهبي – صاحب المؤلفات الجمة – والمتوفي سنة ٧٤٨ هـ[٦٦].

٤) **أعماله ومناصبه:** تقلد بدر الدين بن جماعة من الأعمال والمناصب ما يتناسب وسعة علمه ورفيع مكانته، فاشتغل بالتدريس، والخطابة، والقضاء، ومشيخة الشيوخ، وغيرها، وإليك بيان ذلك:-

أولا- التدريس: درس ابن جماعة في كبريات مدارس الشام ومصر في عصره، ويبين ابن كثير فضله ومكانته في التدريس فيقول: واستمر ابن جماعة مدرسًا بمصر في كفاية ورياسة[٦٧] وتفيد المصادر بأنه درس في المدرسة القيمرية[٦٨]، والمدرسة العادلية الكبرى[٦٩] في دمشق، كما أنه درس أيضًا – في مصر بالمدرسة الصالحية[٧٠] بين القصرين، والمدرسة الناصرية[٧١] والمشهد الحسيني، وجامع ابن قولون، كما ولي مشيخة الحديث بالكاملية[٧٢].

---

(٦٦) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١٤٠، الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢ ص ١٨، ١٩، وأنظر في ترجمة تلاميذه القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره ص ١٩١، ١٩٢.

(٦٧) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٥.

(٦٨) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ج ٣ ص ٧٤٥.

(٦٩) طبقات الشافعية الكبرى ج ١٠ ص ٧٩، البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

(٧٠) السلوك للمقريزي ج ٣ ص ٧٧١، ٧٧٢.

(٧١) المرجع السابق ج ٣ ص ٧٩٨.

(٧٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨١، ٢٨٢.

ثانيا- الخطابة: لما كان بدر الدين بن جماعة خطيبًا مفوهًا، يخطب من إنشائه ويؤديها بفصاحة لها وقع في النفوس وجلالة في الصدور، فقد أسندت إليه الخطابة في المساجد الكبرى، ومن أهمها:

أ –خطابة المسجد الأقصى بالقدس الشريف في رمضان سنة ٦٨٧هـ(٧٣)

ب–خطابة الجامع الأزهر، وجامع السلطان في قلعة صلاح الدين بمصر في رمضان سنة ٦٩٠هـ(٧٤).

ج–خطابة الجامع الأموي بدمشق، وذلك بعد موت شريف الدين المقدسي في أواخر رمضان سنة ٦٩٤ هـ(٧٥).

وقد تميز ابن جماعة بالصوت العذب، والخشوع في القراءة، يقول عنه ابن كثير: وجمع له خُطب كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره(٧٦).

ثالثا – القضاء: وكان من أهم المناصب التي تقلدها بدر الدين بن جماعة، وقد سار فيه – كما يقول ابن كثير(٧٧) – سيرة حسنة، فقد تولي – رحمه الله: قضاء القدس في رمضان سنة ٦٨٧ هـ(٧٨)، وولي مع القضاء الخطابة في المسجد الأقصى، ثم انتقل إلى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٠ هـ ثم تولى قضاء الشام سنة ٦٩٣هـ(٧٩)، ثم أعيد إلى قضاء الديار المصرية مرة ثانية بعد وفاة ابن دقيق العيد سنة ٧٠٢هـ، واستمر يباشر القضاء في مصر إلى أن أضر بصره، وطلب إعفائه من منصب القضاء، فأجيب إلى ذلك في جمادي الأولي سنة ٧٢٧هـ(٨٠).

رابعا- مشيخة الشيوخ: فنظرًا لجلالة قدر ابن جماعة في نفوس الصالحين، وتمكنه من العلوم، فضلًا عن ورعه وتقواه، لم يُنازع في مشيخة الصوفية، بل جاءته

---

(٧٣) تاريخ ابن الوردي ص ٢٠١.

(٧٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

(٧٥) السلوك للمقريزي ج ٣ ص ٧٤٥.

(٧٦) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٧١.

(٧٧) المصدر السابق ج ١٤ ص ١٦٣، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٣.

(٧٨) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨١.

(٧٩) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل للعليمي ج ٢ ص ١٣٦.

(٨٠) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

عن طلب منهم له، ورغبة منهم فيه، وذلك بعد وفاة شيخ الشيوخ يوسف بن حموية الحموي، وقد فرحت الصوفية به، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة([٨١]).

٥) <u>صفاته وأخلاقه:</u> كان بدر الدين بن جماعة – رحمه الله – على قدر كبير من جمال الخلق وحسن الخُلق – يقول ابن حجر – في وصف سمته: كان مليح الهيئة أبيض، مستدير اللحية، نقي الشيبة، جميل البزة – أي الثياب – رقيق الصوت، وقورًا([٨٢])، وكان ذا هيبة، له وقع في النفوس، وجلالة في الصدور.

ويذكر ابن حجر عن أخلاقه وعاداته أنه: كان متقشفًا، مقتصدًا في مأكله وملبسه ومركبه ومسكنه.. حسن التربية([٨٣]).

ومن ورعه أنه لما ولي تدريس الكاملية، رأي في كتاب الوقف: من شرط الطلبة المبيت، فجمع ما كان أخذه وهو طالب وأعاده للوقف، لأنه كان لا يبيت([٨٤]) كما يذكر ابن حجر عن تواضعه أنه: لما عُزل وتولي مكانه الإمام جلال الدين القزويني ركب من منزله في مصر حتى بلغ الصالحية لكي يسلم عليه، فعد ذلك من تواضعه([٨٥]).

ويصفه ابن الوردي بقوله: كان حسن المجموع، وكان ينطوي على دين وتعبد وتصون وتصوف، وعقل ووقار، وجلال وتواضع، وحمدت سيرته، ورزق القبول من الخاص والعام([٨٦]).

ويقول عنه ابن تغري بردي: كان إمامًا عالمًا مصنفًا.. أفتى قديمًا – أي في سن مبكرة – وعرضت فتواه على الشيخ محي الدين النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ فاستحسن ما أجاب([٨٧]).

ويقول الداودي: تفرد في وقته، وكان يشارك في معرفة علم الحديث والفقه والأصول

([٨١]) قضاة دمشق لابن طولون ص ٨٠، ٨١، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٠، ٥١، القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره ص ٢١٩.

([٨٢]) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٢.

([٨٣]) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٢، ٢٨٣.

([٨٤]) المصدر السابق.

([٨٥]) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٢، ٢٨٣.

([٨٦]) تاريخ ابن الوردي ص ٣٠١.

([٨٧]) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٨.

والتفسير مشاركة جيدة، وقصد بالفتوى من الأقطار، وتفرد بها وبرواية أشياء، وكان رئيسًا متوددًا زاهدًا فيما في أيدي الناس([٨٨]).

ويقول عنه ابن كثير: العالم شيخ الإسلام سمع الحديث واشتغل بالعلم، وحصل علومًا متعددة، وتقدم وساد أقرانه مع الرياسة والديانة والصيانة والورع وكف الأذى، وله التصانيف النافعة([٨٩]).

٦) **مؤلفاته:** لعل أصدق دليل على سعة علم الإمام بدر الدين بن جماعة تلك المؤلفات العديدة التي خلفها في الفنون المختلفة، والتي تشهد بنبوغه وعلو مكانته في العلم، وفيما يلي بيان بهذه المؤلفات مع الإشارة إلى ما طبع منها وما تم تحقيقه:

أولًا: في التفسير وعلوم القرآن: له عدة مؤلفات منها:-

١- الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة: وقال عنه تلميذه ابن جابر: إنه جزء فيما احتوت عليه فاتحة الكتاب([٩٠]).

٢- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: وهو موضوع هذا البحث، وسوف أتحدث عنه في المبحث الثالث.

٣- المقتص في فوائد تكرار القصص: وموضوعه تتبع قصص القرآن وبيان الحكم والفوائد من تكرار قصص الأنبياء – عليهم السلام – وأممهم، ونقل عنه السيوطي في معترك الأقران، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون([٩١]).

٤- البيان لمبهمات القرآن: وموضوعه تحديد مبهمات القرآن، وقد رتب فيه ذكر المبهمات على ترتيب سور القرآن، وذكر الدكتور عبد الجواد خلف أن لهذا الكتاب مختصرًا تحت اسم: غرر البيان فيمن لم يسم في القرآن([٩٢]).

ثانيا: في الحديث وعلومه: وله في ذلك:

١) المنهل الروى في علوم الحديث النبوي: وهو شرح لمقدمة ابن الصلاح، وقد رتبه على مقدمة، وأربعة أطراف، فجاء

([٨٨]) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٤٨، ٤٩.

([٨٩]) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

([٩٠]) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ١٣٧.

([٩١]) كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٩٣، إيضاح المكنون ج ٢ ص ٦٤٧.

([٩٢]) الأنس الجليل ج ٢ ص ١٣٧، القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته آثاره ص ٢٦٨.

مشتملًا على خمسة أمور، وهي: التعريف، وأقسام المتن، والسند، وأسماء الرجال، وكيفية تحمل الحديث، وقد تم طبعة ونشره بتحقيق الدكتور محي الدين عبد الرحمن رمضان(٩٣).

٢) الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة: ذكره مجير الدين الحنبلي(٩٤)، وكثير من أصحاب كتب الفهارس.

٣) الأربعون التساعية الإسناد: ويتضمن أربعين حديثًا تساعية الإسناد مخرجة عن ثلاثة عشر شيخًا من أهل السداد، سمعها عليه بمنزله تلميذه ابن جابر، وذكر الدكتور عبد الجود خلف أنه قام بتحقيقه(٩٥)، ولم يتيسر لي الاطلاع عليه.

ثالثًا: في الفقه:

١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: وقد قسمه إلى سبعة عشر بابًا، ضمن كل باب عدة فصول، وتعرض فيه للخلافة وأحكامها، والوزارة والقضاء، واتخاذ الجند للجهاد ومصادر دخل الدولة وتوزيعها، وقتال أهل البغي، وأحكام أهل الذمة، وقد تم طبعة ونشره بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد(٩٦)، وقد تيسر لي الاطلاع عليه.

٢) تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة: وهي رسالة لطيفة في مسألة المزارعة بخط ابن جماعة نفسه، وقد حققها عبد السلام السحيمي ونشرت بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٦هـ

٣)الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة: وموضوعه الحث على التزام صلاة الجماعة، والسعي إليها وما ورد في شأنها من الفضائل، وقد ذكره صاحب الذيل علي كشف الظنون تحت اسم: الطاعة في فضيلة الجماعة(٩٧).

---

(٩٣) نشر دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٦ م.

(٩٤) الأنس الجليل ج ٢ ص ١٣٧، وبريرة هي بنت صفوان مولاة عائشة رضي الله عنها، كانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها، وقصتها في ذلك في الصحيحين، وفيهما عن عائشة: كانت في بريرة ثلاث سنن... الحديث وفيه: الولاء لمن أعتق، انظر: أسد الغابة ج ٧ص٣٩الإصابة في تميز الصحابة ج ص ٢٥٢، فتح الباري ج ٥ ص ٢٢٢.

(٩٥) نشرته رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر سنة ١٩٨٧ م.

(٩٦) إيضاح المكنون ج ٢ ص ٧٦، القاضي بدر الدين الله جماعة حياته وآثاره ص ٢٤٨.

(٩٧) نشر وزارة الثقافة والإعلام بالعراق سنة ١٩٨٣ م.

٤) مستند الأجناد في آلات الجهاد: نسبه لابن جماعة كل من القاضي مجير الدين، وإسماعيل باشا، وقد تم طبعة ونشره بتحقيق الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي([٩٨]).

رابعًا - في العقيدة وعلم الكلام: له:

١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: وقد ذكر الدكتور عبدالجواد خلف أنه يوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٠٦ / توحيد)([٩٩]).

٢) التنزيه في إبطال حجج التشبيه: ذكره إسماعيل باشا في هدية العارفين([١٠٠]).

خامسًا: في الآداب والتربية: له في ذلك:

١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: وقد تم نشره بتحقيق الأستاذ محمد هاشم الندوي(٤)، ورتبه على خمسة أبواب، وهي:-

الباب الأول: في فضل العلم وأهله وشرف العالم ونسله.

البـاب الثاني: في آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه.

الباب الثالث: في آداب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه

الباب الرابع: في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الآداب.

الباب الخامس: في آداب سكني المدارس وما يتعلق بها من النفائس

٢) أنس المذاكرة فيما يستحسن في المذاكرة: وموضوعه في الموعظة والآداب، وقد ذكر الدكتور فؤاد عبد المنعم في مقدمته لكتاب تحرير الأحكام([١٠١]) أنه توجد منه نسخة بخط مؤلفه في سنة ٦٦٢ هـ في مكتبة مغنيسيا بتركيا.

سادسا: كتب في فنون أخرى: ومنها:

١) حجة السلوك في مهاداة الملوك: وذكره الدكتور محي الدين رمضان تحت اسم حجة السلوك في مهارة الملوك([١٠٢])، ويبدو أن هذا الكتاب يتضمن تاريخًا مختصرًا للدولة الأموية والعباسية.

([٩٨]) إيضاح المكنون ج ١ ص ١١٥، القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وأثاره ص ٢٥٢.

([٩٩]) هدية العارفين في أسماء المؤلفين ج ٢ ص ١٤٨.

([١٠٠]) طبعته دار المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند سنة ١٣٥٤ هـ، وانظر: القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره ص ٢٦٦.

([١٠١]) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ص ٢٣.

([١٠٢]) مجلة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية، القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره ص٢٥٥.

٢) رسالة في الإسطرلاب: والإسطرلاب جهاز استعمله المتقدمون في معرفة الوقت وتحديد أبعاد النجوم وحركتها، وقد عزاها إليه تلميذه صلاح الدين الصفدي([١٠٣]).

٧) **وفاتـه**: بعد حياة طويلة حافلة بالعلم والعمل في خدمـة الدين توفى الإمام بدر الدين بن جماعة، وكان ذلك على ما تذكـر المصادر ليلة الاثنين بعد العشاء الآخرة، الحادي والعشرين مـن جُمادي الأولى، وقد أكمل أربعًا وتسعين سنة وشهرًا وأيامًا، وصُلي عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصري بمصر، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة هائلـة([١٠٤]).

وبعد: فهذا هو الإمام بدر الدين بن جماعة، وهذه هي مكانته العلمية والاجتماعية، وإن كنت أرى أنه حتي الآن لم يأخذ حقه من الشهرة والذيوع مثل غيره ممن هو أقل منه، رغم كثرة مؤلفاته في شتى الفنون، وتأثيره فيمن بعده أمثال الإمام السيوطي في " معترك الأقران " ، وفي " الإتقان ".

المبحث الثالث

التعريف بكتاب: كشف المعاني في المتشابه من المثاني

١) **نسبة الكتـاب**:

أجمعت المصادر على نسبة كتاب (كشف المعاني) إلى بدر الدين ابن جماعة، المتوفي سنة ٧٣٣ هـ، فمن كتب التراجم: ذكره صاحب طبقات الشافعية([١٠٥]) وأورد أمثلة منه، كما ذكره كل من: الزركلي في (الأعلام)([١٠٦])، وحاجى خليفة في (كشف الظنون)([١٠٧]).

ومن كتب علوم القرآن: ذكره السيوطي في الإتقان وهو يتحدث عن الآيات المتشابهات تحت النوع الثالث والستين حيث قال: وللقاضي بدر الدين بن جماعة كتاب

([١٠٣]) الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٩.

([١٠٤]) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٣.

([١٠٥]) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ١٤٢.

([١٠٦]) الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٨٩.

([١٠٧]) كشف الظنون ج ٢ ص ١٤٩٥.

لطيف سماه: كشف المعاني عن متشابه المثاني([١٠٨]).

وقد فات الزركشي في البرهان وهو يتحدث عن علم المتشابه تحت النوع الخامس من علوم القرآن أن يذكره ضمن الكتب التي صنفت في توجيه المتشابه، ربما لأنه لم يقع له كتاب (كشف المعاني)، أو لظهور الكتاب وشيوعه بعد وفاة الزركشي نفسه([١٠٩]).

هذا وقد نال كتاب (كشف المعاني) لابن جماعة إهتمامًا من البحث العلمي بالجامعة، فقد حقق الكتاب – حسب علمي – مرتين([١١٠]):

التحقيق الأول: كان بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وحصل به الباحث عبد الغفار بدر الدين علي درجة الماجستير سنة ١٤٠١ هـ

التحقيق الثاني: كان بجامعة الأزهر الشريف، كلية البنات الإسلامية، ونالت به الباحثة مني محمد علي درجة الماجستير ١٩٨٧م([١١١]).

كما قام بتحقيق الكتاب الدكتور عبد الجواد خلف وتم نشره سنة ١٤١٠هـ تحت عنوان: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني)([١١٢])، وحققه أيضًا – الدكتور محمد محمد داود وتم نشره سنة ١٤١٨هـ تحت عنوان:

(كشف المعاني في متشابه المثاني)([١١٣]) ، وقد تيسر لي الاطلاع علي هاتين النسختين، واعتمدت عليهما في بيان منهج ابن جماعة في تفسير المتشابهات.

٢) **<u>موضوعه:</u>**

موضوع هذا الكتاب هو المتشابه من آيات القرآن الكريم، وهذا ظاهر وواضح من العنوان (كشف المعاني في المتشابه من المثاني). والمراد بالمتشابه هنا: هو المتشابه اللفظي، وهو غير المتشابه الذي جاء في مقابلة (المحكم)، وذلك في قوله تعالي – في سورة آل عمران: **"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ**

([١٠٨]) الإتقان في علو القرآن ج ٢ ص ١٤٦.

([١٠٩]) البرهان في علوم القرآن ص ٨٧.

([١١٠]) انظر: مقدمة كتاب كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة بتحقيق الدكتور محمد داود ص ٣٥ طبعة دار المنار بالقاهرة.

([١١١]) وهي مودعة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر تحت رقم (١٣٦٥).

([١١٢]) نشرته دار الوفاء للطباعة بالمنصورة، الطبعة الأولي سنة ١٩٩٠ م.

([١١٣]) نشرته دار المنار بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ م.

مُتَشَابِهَاتٌ"([114]) فإن المراد بالمتشابه هنا والذي هو في مقابلة (المحكم): المتشابه المعنوي ويتناول أوصاف الله تعالي، وأوصاف القيامة، فإن تلك الأوصاف لا تتصور لنا إذا كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم تحسه([115]).

أما المتشابه اللفظي فيتناول اختلاف الألفاظ بالزيادة والنقصان، أو الإفراد والجمع، أو التنكير والتعريف، أو التقديم والتأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو اختلاف حروف العطف أو حروف الجر، أو التحول من الغيبة إلى الخطاب أو العكس، أو من الماضي إلى المضارع أو العكس... ونحو ذلك، فهذا الذي عُني به ابن جماعة في كتابه (كشف المعاني) بل وكل من صنف في المتشابه.

٣) **الغرض من تأليف الكتاب:**

الغرض من تأليف هذا الكتاب – كما يتضح من كلام ابن جماعة في مقدمته – هو بيان وتفسير الألفاظ المكررة في عدة مواضع، ولكنها بصور مختلفة من التقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان.... وغير ذلك – كما سبق – مع احتفاظها بنفس معناها في كل المواضع، وفي ذلك يقول – رحمه الله: {لما منّ الله تعالى على بالقرآن العزيز، وحفظه وتحصيله، والوقوف علي ما قُدر من تفسيره وتأويله، واتفق إلقاء دروس التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثها من النفائس، رُبّما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يُذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألّمت به في أسفارها المسطورة، من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أغيار، فتُحل تلك الأسئلة بما يفتح الله تعالى به، إما منقول أو غير منقول، وقد استخرت الله تعالى في ذكر أجوبة ما علي الخاطر منه، باختصار لا غني لفهمه عنه، وسميته:كشف المعاني في المتشابه المثاني}([116]).

فقد بين ابن جماعة في هذه المقدمة الموجزة والمهمة غرضه من تأليف الكتاب، وهو

([114]) الآية (٧).

([115]) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧.

([116]) كشف المعاني في متشابه المثاني بتحقيق الدكتور محمد داود ص ٤٩.

– كما ذكرت – بيان وتوجيه ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ المكررة في عدة مواضع، لها كلها معني واحد، ولكن يختلف توجيه ورودها مكررة متشابهة باعتبارات متعددة، أهمها:-

١- تشابه باعتبار تكرر اللفظ فيجيء في موضع على نظم، ويجيئ في موضع آخر على عكسه، وأمثلته كثيرة منها: قوله تعالى – في سورة البقرة:**"وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ"**(١١٧)، وفي سورة الأعراف: **" وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا "**(١١٨)

٢ - تشابه بزيادة حرف في موضع، ونقصه في موضع آخر: ومن أمثلته: قوله تعالي – في سورة البقرة: **"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"**(١١٩)، وفي سورة الأنفال:**"وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"**(١٢٠) بزيادة لفظ (كله).

٣ - تشابه بالتقديم والتأخير: وهو غير الأول ولكنه قريب منه، ومن أمثلته: تقديم اللهو علي اللعب في موضع، وتأخيره في موضع آخر مع أن الأصل في غير القرآن تقديم اللعب مطلقًا، لأن اللعب

زمن الصبا، واللهو زمن الشباب، وذلك كقوله تعالي – في سورة الأعراف: **" الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"**(١٢١)، وفي سورة

العنكبوت: **"وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ "**(١٢٢)، قدم اللعب في الآية الثانية وهو الترتيب الطبيعي بإعتبار أن الصبا الذي يوافقه اللعب أسبق من الشباب الذي يوافقه اللهو، وذلك في الحياة الدنيا. أما في الآية الأولى فأخر اللعب لأن الكلام على يوم الآخرة فانعدم الترتيب الزمني(١٢٣).

٤- تشابه بإيراد اللفظ مُعرفًا في موضع ومُنكرًا في موضع آخر: ومنه قوله تعالي – في سورة البقرة: **"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا"**(١٢٤) بالتنكير، وفي سورة

---

(١١٧) الآية (٥٨).
(١١٨) الآية (١٦١).
(١١٩) الآية (١٩٣).
(١٢٠) الآية (٣٩).
(١٢١) الآية (٣٩).
(١٢٢) الآية (٦٤).
(١٢٣) البرهان في علوم القرآن ص ٩٢.
(١٢٤) الآية (١٢٦).

إبراهيم: **"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا"**[١٢٥] بالتعريف.

٥ - تشابه بإيراد اللفظ مفردًا في موضع، وجمعًا في موضع آخر، ومنه قوله تعالى – في سورة البقرة: **" وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً"**[١٢٦]، وفي سورة آل عمران:**" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ"**[١٢٧].

٦ – تشابه بإبدال حرف مكان حرف آخر، ومن أمثلته: قوله تعالي – في سورة البقرة: **" وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا"**[١٢٨] بالواو في (وكلا)، وفي سورة الأعراف: **" وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا"**[١٢٩] بالفاء، والسر في ذلك: أن مجيء

الواو في آية البقرة لأن السكون فيها يعني الإقامة، ومادام مقيمًا فلا يحتاج إلى تأخير الأكل، والسكون في الأعراف من اتخاذ الموضع مسكنًا، فالأكل يحتاج إلى تأخير وتراخي حتي يستقرا في الجنة، فناسب إبدال الواو فاء[١٣٠].

٧- تشابه بإبدال كلمة مكان كلمة، ومن أمثلته: قوله تعالي – في سورة البقرة: **" قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا"**[١٣١]، وفي سورة لقمان: **"قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا"**[١٣٢]

٨ – تشابه باعتبار عدد المرات التي يتكرر فيها اللفظ أو الجملة وقد جاء على أربعة عشر ضربًا منها: ما تكرر مرتين مثل قوله تعالي: **" وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ "**[١٣٣] ذكر مرة في سورة البقرة ومرة في سورة آل عمران، ومنها ما تكرر أكثر من ذلك.. إلى ثلاثة وعشرين موضعًا[١٣٤].

---

(١٢٥) الآية (٣٥).
(١٢٦) الآية (٨٠).
(١٢٧) الآية (٢٤).
(١٢٨) الآية (٣٥).
(١٢٩) الآية (١٩).
(١٣٠) البرهان في علوم القرآن ص ٩٧.
(١٣١) الآية (١٧٠).
(١٣٢) الآية (٢١).
(١٣٣) الآية (٢٣٥) سورة البقرة، الآية (١٥٥) سورة آل عمران.
(١٣٤) البرهان في علوم القرآن ص (١٠٠، ١١٠).

هذه الصور الثمانية هي أهم الصور التي يعني بتوجيهها مفسرو المتشابه، ومنهم ابن جماعة في كتابه " كشف المعاني ".

٤) <u>مصادره:</u>

إن المتتبع لما كتبه ابن جماعة في كتابه (كشف المعاني) من أوله وحتي نهايته لا يجد ذكرًا للمصادر أو التفاسير التي رجع إليها، وإنما هو يتحدث هكذا وكأنه من بنات أفكاره.

والواقع أن الرجل قد اعتمد في كتابه على كثير من المصادر في التفسير والحديث واللغة وغيرها، واستفاد ممن سبقه من العلماء وخاصة الذين صنفوا في متشابه القرآن، كالخطيب الإسكافي في كتابه: "درة التنزيل وغرة التأويل"، والكرماني في:(البرهان في متشابه القرآن)، وابن الزبير الغرناطي في:((ملاك التأويل)، ويتضح هذا لكل من يقارن بين ما كتبه ابن جماعة وما كتبه هؤلاء الأئمة الأعلام في كتبهم.

ولعل السبب في عدم تصريحه بذكر المصادر التي اعتمد عليها هو أنه اتبع في كتابه أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة.

هذا وأكبر دليل على أنه قد اعتمد على الكثير من كتب التفسير وغيرها قوله – في مقدمه الكتاب: ربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها العجيبة، مما لم يُذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة[١٣٥]، فهذا يدل على أنه قد رجع إلى تلك التفاسير المشهورة، وإلا فمن أين له أن بعض ما ذكره من المسائل أو أكثره لم يذكر فيها؟.

وأيضًا نراه عند توجيه بعض المسائل يذكر أقوال المفسرين وإن لم يصرح بأسمائهم، فيقول: ذكر المفسرون كذا[١٣٦]. والعجب كل العجب من عدة من المفسرين يذكرون هنا كذا[١٣٧] إلى غير ذلك مما يدل على رجوعه إلى الكثير من أقوال المفسرين.

٥) <u>القيمة العلمية للكتاب:</u>

يعد كتاب (كشف المعاني) للعلامة بدر الدين بن جماعة من أهم الكتب التي صنفت في المتشابه، إن لم يكن أهمها جميعًا، ويتضح ذلك مما يلي:

([١٣٥]) كشف المعاني ص ٧٩، ٨٠ طبعة دار الوفاء.

([١٣٦]) المصدر السابق ص ٨٥.

([١٣٧]) المصدر السابق ص ٣٣٦.

١- سلالة أسلوبه، وتنظيمه للآيات المتشابهة، ووضعها على هيئة أسئلة وأجوبة، الأمر الذي يسهل الرجوع إليه والإفادة منه.

٢- استيفاؤه لجميع مسائل هذا الفن، ويتضح هذا لكل من يقارن بينه وبين أي كتاب من كتب المتشابه كالبرهان في متشابه القرآن للكرماني مثلًا.

٣- الجدة في تناول المسائل المتشابهة، سواء من حيث ترتيب الآيات والسور – حسب الترتيب المصحفي – أو من حيث طريقة توجيه تلك المسائل التي يتناولها.

٤- كما يتميز بأن أكثر إجاباته عن المسائل المتشابهة راجع إلى الاستنباط اللغوي والبلاغي، مما لم يُذكر بعضه أو أكثره في كتب السابقين، كما بين ذلك ابن جماعة في مقدمته.

٥- ويتميز الكتاب أيضًا – بأنه قد اتبع أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابه، فأسلوبه أشبه بأسلوب البرقيات، مختصر ولكنه واضح في معظمه.

٦) **تأثره بمن قبله:**

تأثر الإمام بدر الدين بن جماعة بمن قبله من العلماء، وإن كان لم يصرح بذلك لأنه – كما سبق أن ذكرت – قد اتبع في كتابه أسلوب الإيجاز والاختصار، ومن أبرز من تأثر بهم:-

الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨هـ في كتابه: " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل"، وقد تأثر به ابن جماعة في عدة مسائل منها:

مسألة ١٨حيث قال: قوله تعالي:**"كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ"**(١٣٨). ثم قال: **"ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ"**(١٣٩)ولم يقل:بضيائهم مع ما فيه من بديع المطابقة؟

جوابه: أن الضياء أبلغ من النور، ولا يلزم من ذهابه ذهاب النور بخلاف عكسه، فذهاب النور أبلغ في نفي ذلك(١٤٠) ا.هـ

فهذا الجواب قد تأثر فيه بما ذكره الزمخشري في تفسيره حيث قال: فإن قلت: هلا

---

(١٣٨) الآية (٢) سورة البقرة.

(١٣٩) الآية (١٧) من نفس السورة.

(١٤٠) كشف المعاني ص ٩٠ طبعة دار الوفاء.

قيل: ذهب الله بضوئهم لقوله: **" فَلَمَّا أَضَاءَتْ "؟**

قلت: ذكر النور أبلغ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب الزيادة وبقاء ما يسمى نورًا، والغرض إزالة النور عنهم رأسًا وطمسه أصلًا ألا ترى كيف ذكر عقيبه: **" وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ "** والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه(١٤١).

ومن ذلك: مسألة ٦١ حيث قال ابن جماعة: قوله تعالى: **" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ "**(١٤٢)، وقال تعالي في براءة: **"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ"**(١٤٣) وآيات القتال كثيرة؟

جوابه: من وجوه:

أحدها: لا إكراه قسرًا من غير إقامة دليل، بل قد بين الله سبحانه الدلالة على توحيده، وبعث رسوله لمن ينظر فيه، ويدل عليه قوله تعالي بعده: **"قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ "** ، وهذا قول المعتزلة.

والثاني: أنه منسوخ بآيات السيف.

والثالث: أنه مخصوص بأهل الكتاب(١٤٤)

وهذا الجواب هو تقريبًا ما ذكره الزمخشري عند تفسير آية البقرة حيث قال: **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)** أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار **(قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)** قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة..، وقيل: هو إخبار في معني النهي، أي: لا تتكرهوا في الدين، وقال بعضهم: هو منسوخ بقوله: **(جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)**(١٤٥)، وقيل: هو في أهل الكتاب خاصة، لأنهم خصوا أنفسهم بأداء الجزية(١٤٦).

وهكذا يظهر تأثر ابن جماعة بالزمخشري في كتابه.

١- الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦هـ

---

(١٤١) الكشاف ج ١ ص ٨٠.

(١٤٢) الآية (٢٥٦) سورة البقرة.

(١٤٣) الآية (٥) سورة التوبة.

(١٤٤) كشف المعاني ص ١١٨، ١١٩.

(١٤٥) الآية (٩) سورة التحريم.

(١٤٦) الكشاف ج ١ ص ٢٨٤.

في تفسيره المسمى: (مفاتيح الغيب)، وقد تأثر به ابن جماعة في عدة مسائل منها: مسألة ١١٠ حيث قال: قوله تعالي: **" يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا "**(١٤٧) وقال تعالي: **"فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**...الآية"(١٤٨)، وقوله تعالى: **" لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**... الآية"(١٤٩) والأنبياء أولى بذلك منا، فكيف الجمع بين الموضعين؟

جوابه: أن المنفي علم ما أظهروه مع ما أبطنوه، معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطنًا وظاهرًا، بل أنت المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا، ولذلك قالوا: **(إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** وإنما نعلم ظاهر جوابهم، أما باطنه فأنت أعلم به.

جواب آخر: أن معناه أن جوابهم لما كان في حال حياتنا ولا علم لنا بما كان منهم بعد موتنا لأن الأمور محالة على خواتيمها(١٥٠) ا.هـ.

وهذا مما أخذه ابن جماعة عن الفخر الرازي، ذلك أن الفخر قال عند تفسير آية المائدة: ظاهر قوله **(لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** يدل على أن الأنبياء لا يشهدون لأممهم، والجمع بين هذا وبين قوله تعالي: **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)** مشكل، وأيضًا قوله تعالي:**(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)** فإذا كانت أمتنا تشهد لسائر الناس، فالأنبياء أولى بأن يشهدوا لأممهم بذلك؟

و الجواب عنه من وجوه، وذكر – رحمه الله منها في الوجه الثالث – وقال: وهو الأصح وهو الذي اختاره ابن عباس – أنهم إنما قالوا لا علم لنا لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، فلهذا المعني نفوا العلم عن أنفسهم لأن علمهم عند الله كلا علم.

الوجه الرابع: أنهم قالوا: لا علم لنا إلا أن علمنا جوابهم لنا وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا والجزاء والثواب إنما يحصلان على الخاتمة، وذلك غير معلوم لنا فلهذا المعني قالوا: لا علم لنا وقوله: **(إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** يشهد بصحة هذين

---

(١٤٧) الآية (١٠٩) سورة المائدة.

(١٤٨) الآية (٤١) سورة النساء.

(١٤٩) الآية (١٤٣) سورة البقرة.

(١٥٠) كشف المعاني ص ١٥٢ طبعة دار الوفاء.

الجوابين([١٥١]) ا.هـ.

فهذان الوجهان اللذان ذكرهما الفخر الرازي هما نفس ما أجاب به ابن جماعة على هذه المسألة، الآمر الذي يدل على أنه قد تأثر بالفخر الرازي وأنه كان يقتصر في الجواب على ما صح من الأوجـه.

٧) **<u>أثره فيمن بعده:</u>**

إذا كان الإمام بدر الدين بن جماعة في كتابه (كشف المعاني) قد تأثر بمن سبقه من العلماء، فإنه قد أثر فيمن جاء بعده سواء في طريقته التي اتخذها في كتابه، أو في أسلوبه الذي اتبعه في توجيه المتشابه، وممن تأثر به من العلماء القدامى:

- شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦ هـ في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)، فقد تأثر أبو يحيى بما كتبه ابن جماعة ويتضح ذلك في التشابه بين الكتابين من حيث الطريقة والمنهج واتباع أسلوب الإيجاز في توجيه الآيات المتشابهة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالي في سورة البقرة:**"قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى"**([١٥٢]) قال ذلك هنا، وقال في آل عمران: **"قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ"**([١٥٣]) حيث قال إن معني الهدى هنا القبلة، لأن الآية نزلت في تحويلها، وتقديره: قل إن قبلة الله هي الكعبة، ومعناه ثم: الدين لقوله قبل:**"تَبِعَ دِينَكُمْ"**([١٥٤])، وهذا هو ما قاله ابن جماعة في توجيه الآيتين([١٥٥]). ومن أمثلة تأثره بابن جماعة أيضًا تعليله لقوله تعالى – في سورة النساء: **"وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا"** بقوله ختم الآية مرة بقوله: **"فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا"([١٥٦])** ومرة بقوله: **"فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"**([١٥٧])، ولا تكرار فيه، وإن اشتراكا في الضلال، لأن الأول نزل في اليهود، والثاني في كفار لا كتاب لهم وخص ما نزل في اليهود بالافتراء لأنهم حرفوا وكتموا ما

([١٥١]) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٠١، ١٠٢.

([١٥٢]) الآية (١٢٠).

([١٥٣]) الآية (٧٣).

([١٥٤]) الآية (٧٣).

([١٥٥]) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ١٩ بتحقيق الشيخ بهاء الدين عبد الموجود طبعة مكتبة الإيمان، كشف المعاني ص ٦٣ بتحقيق الدكتور محمد داود.

([١٥٦]) الآية (٤٨).

([١٥٧]) الآية (١١٦).

في كتابهم، وذلك افتراء، بخلافه في الكفار الذين لا كتاب لهم([١٥٨]) وهذا تقريبًا ما قاله ابن جماعة في توجيه الآيتين.

- الإمام جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ في كتابيه: "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، "الإتقان في علوم القرآن"، وقد وصف السيوطي كتاب ابن جماعة بأنه كتاب لطيف وهو يتحدث عن النوع الثالث والسنين: في الآيات المتشابهة، ونقل عنه، ومن أمثلة ذلك: ما نقله عن ابن جماعة في قوله تعالي في سورة البقرة: **"وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً"**([١٥٩]) وفي سورة آل عمران: **"مَعْدُودَاتٍ"**([١٦٠]) حيث قال:قال ابن جماعة: لأن قائلي ذلك فرقتان من اليهود، إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، والأخرى قالت: إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل، فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتي بجمع القلة([١٦١]). ومن أمثلة تأثره به أيضًا ما نقله عنه في قوله تعالي – في سورة الأعراف: **" فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"**([١٦٢]) وفي فصلت: **"إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"**([١٦٣]) حيث قال: قال ابن جماعة: لأن آية الأعراف نزلت أولًا، وآية فصلت نزلت ثانيًا فحسن التعريف، أي:هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولًا، عند نزوغ الشيطان([١٦٤])

هذا وممن تأثر بطريقة ابن جماعة في كتابه من العلماء المعاصرين:

الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره للقرآن الكريم، فقد استطاع – رحمه الله – أن يجذب آذان السامعين وقلوبهم إلى تفسير كتاب الله- عز وجل – بواسطة التخريجات اللطيفة التي كان يستنبطها من آياته الكريمة، ومن أمثلتها ما ذكره في قوله تعالى:

([١٥٨]) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٦٦، كشف المعاني ص ٨٣.

([١٥٩]) الآية (٨٠).

([١٦٠]) الآية (٢٤).

([١٦١]) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٤٧، كشف المعاني ص ١٠٢، ١٠٣ بتحقيق الدكتور عبد الجواد خلف.

([١٦٢]) الآية (٢٠٠).

([١٦٣]) الآية (٣٦).

([١٦٤]) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٤٨، كشف المعاني ص ١٨٩ بتحقيق في علوم القرآن، كشف المعاني ص ١٨٩ بتحقيق الدكتور عبد الجواد خلف.

"يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ"[١٦٥] حيث قال: لماذا استخدم – سبحانه وتعالي – كلمة (يكور).. لماذا استخدم الله لفظ (يكور) ولم يقل: يبسط الليل والنهار... ما دامت الأرض منبسطة، أو يغير الليل والنهار، أو أي لفظ آخر، إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة، فنقول: إنك كورت هذا القماش مثلًا، أي جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها، وإذا أردت من إنسان أن يضع لك شيئًا على شكل كرة، فتقول له: خذ هذا وكوره، أي اصنعه على شكل كرة، ومعني قول الله تعالي: **"يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ"** أي: يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية، ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية في كل وقت، أي أن الله لم يقل: يكور الليل ثم يكور النهار، ولكنه قال **" يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ"**، واستخدام كلمة **(عَلَى)** هنا تستحق وقفة... لتتصور مدى انطباقها على كروية الأرض " يكور الليل والنهار" ومعناه أنهما موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية، وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنًا، ولم يصل إلى علم البشر إلا في الفترة الأخيرة[١٦٦]

- الدكتور السيد إسماعيل علي في كتابه: (صفوة البيان في متشابه النظم في القرآن) ويظهر تأثره بابن جماعة في كثرة نقله عنه في توجيه المتشابه، ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى – في سورة البقرة:**" وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"**[١٦٧]، وفي الأنفال: **"وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"**[١٦٨] حيث قال[١٦٩]: وقال بدر الدين ابن جماعة: إن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش لعمرو بن الحضرمي، وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد غزوة بدر وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة وغيرهم عامة، فأكد – سبحانه وتعالى – رجاءهم ذلك بقوله تعالي **"وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"**، ومن ذلك أيضًا – ما ذكره عند قوله تعالي – في سورة آل عمران:**"وَمَا**

---

(١٦٥) الآية (٥) سورة الزمر.

(١٦٦) معجزة القرآن للشيخ الشعراوي ص ٤٨، القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثارة ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(١٦٧) الآية (١٩٣).

(١٦٨) الآية (٣٩).

(١٦٩) صفوة البيان ج ١ ص ٢٠٩.

جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"([170])، وفي سورة الأنفال:**"وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"**([171]) حيث قال: وقال ابن جماعة: إن آية الأنفال نزلت في قتال بـدر أولًا.

وآية آل عمران نزلت في واقعة أحد ثانيًا، فبين أولًا أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عدد أو عُدد، ولذلك علله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير([172])..

إلى غير ذلك من المواضع التي تدل على تأثره بابن جماعة.

* * *

([170]) الآية (١٢١).

([171]) الآية (١٠).

([172]) صفوة البيان ج ١ ص ٢٤٩، كشف المعاني ص ٨٠ بتحقيق الدكتور محمد داود.

المبحث الرابع
منهج ابن جماعة في تفسير المتشابهات
من خلال كتاب: (كشف المعاني)

إن القارئ لكتاب (كشف المعاني) للإمام بدر الدين بن جماعة يجد أنه قد اتبع المنهج العلمي في تفسير الآيات المتشابهة، وهذا يرجع – كما سبق أن ذكرت- إلى براعته العلمية، وقدرته الفائقة في توجيه هذا اللون الدقيق من ألوان التفسير، فهو عالم غزير العلم، متفرد الفكرة، لا يكل نفسه إلى مجرد النقل عمن سبقه، وإنما يمعن النظر، ويشحذ الفكر، ويأتي بما هو جديد طريف، ويتضح ذلك فيما يلي:-

أولًا: منهج ابن جماعة في كتابه:

إن منهج بدر الدين بن جماعة في كتابه (كشف المعاني) واضح محدد، فهو يتتبع الآيات المتشابهة في كل سورة، على حسب ترتيبها في المصحف، بدءًا بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس.

يبدأ بذكر الآية التي في السورة محل الدراسة أولًا، ثم يذكر الآية أو الآيات التي تتشابه معها، سواء في هذه السورة أو في غيرها من السور، ويضع ذلك علي هيئة سؤال تحت عنوان: (مسألة) ثم يقوم بالإجابة عن ذلك ببيان سبب الاختلاف، ويضع هذا تحت عنوان (جوابه)، وعلى سبيل المثال يقول–عند تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة البقرة:(مسألة): قوله تعالي:**"فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"**(١٧٣)، وفي يونس: **"بِسُورَةٍ مِثْلِهِ"**(١٧٤) وفي هود: **"بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ"**(١٧٥)؟ جوابه: لما قال هنا: **"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا"** أنه من عند الله فأتوا بسورة من أمي مثله لا يكتب ولا يقرأ، وفي يونس لما قال: **" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا "** أنتم بسورة مثله، أي: فأنتم الفصحاء فأتوا بسورة مثل القرآن في بلاغته وفصاحته، واقرأوا مثله، وبذلك علم الجواب في هود(١٧٦).

وهكذا يتناول ابن جماعة الآيات المتشابهة على هيئة مسائل مفترضة ثم يقوم

---

(١٧٣) الآية (٢٣).

(١٧٤) الآية (٣٨).

(١٧٥) الآية (١٣).

(١٧٦) كشف المعاني ص ٩٠، ٩١ طبعة دار الوفاء.

بالجواب عنها بأسلوب دقيق ينم عن حسن لغوي مرهف.

كما تدل تلك المسائل التي تتبعها في كل سور القرآن على استيفائه لكل الآيات المتشابهة، ولهذا جاء كتابه وافيًا بمسائل هذا الفن مستوعبًا لمفرداته، وقد بلغت تلك المسائل واحدًا وثمانين وأربعمائة ٤٨١ مسألة على ما ذكره محققه الدكتور عبد الجواد خلف(١٧٧).

وقد أخضع ابن جماعة الأجوبة إلى ثلاثة مصادر:

أحدها: النقل. الثاني: اللغة. الثالث: التدبر وإمعان النظر

ويتضح هذا من قوله - في المقدمة: فتُحل تلك الأسئلة بما يفتح الله تعالى به، إما منقول أو غير منقول، وقد استخرت الله تعالي في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه، باختصار لا غنى لفهمه عنه، وسميته: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني)(١٧٨).

كما بين – رحمه الله – أن أكثر إجاباته عن المسائل المتشابهة راجع إلى الاستنباط اللغوي والبلاغي مما لم يذكر أكثره في كتب التفسير المشهورة، من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان، وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أغيار(١٧٩) وغير ذلك من الصور البلاغية التي ذكرها في كتابه.

وقد تميز ابن جماعة في كتابه بأنه اتبع أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة، ويظهر هذا لمن يقارن بينه وبين غيره كالخطيب الإسكافي في (درة التنزيل) أو ابن الزبير في: " ملاك التأويل " ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الملكة التي كان يتحلى بها ابن جماعة في أداء المعني بأقصر عبارة ممكنة، ومن الأمثلة على ذلك مسألةُ٣٠: حيث قال: قوله تعالى:**"فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا "**(١٨٠)، وفي الأعراف: **"فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ"**(١٨١) وقال: **"فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ"**، وقال هنا: **"يَفْسُقُونَ"**، وفي الأعراف: **"يَظْلِمُونَ"؟**

---

(١٧٧) المصدر السابق ص ٧١.

(١٧٨) المصدر السابق ص ٦٤.

(١٧٩) المصدر السابق والصفحة.

(١٨٠) الآية (٥٩) سورة البقرة.

(١٨١) الآية (١٦٢) سورة الأعراف.

جوابه: لما سبق في الأعراف تبعيض الهادين بقوله تعالـي:

"وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ " ناسب تبعيض الظالمين منهم بقوله تعالي: **"الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ "** ، ولم يتقدم مثله في البقـرة، وقوله: **"عَلَيْهِمْ"** ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم. وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير **" الَّذِينَ ظَلَمُوا "** لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشد وقعًا من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة.

وختم آية البقرة بـ: **"يَفْسُقُونَ"** ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظ منهما سياقه"([١٨٢]) أ.هـ.

فقد أجاب هنا على هذه المسـألة بإيجاز شديد إذا ما قورن بغيره([١٨٣]) – كما ذكرت.

ويتميز ابن جماعة في كتابه – أيضًا- بانفراده بتوجيه بعض المسائل، وهذا يدل على شخصيته واستقلاليته، ومن ذلك: مسألة ٢١: حيث قال: قوله تعالي: **" هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ"**([١٨٤])، وفي النازعات: **" وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا"**([١٨٥]) ظاهر آية البقرة، وحم السجدة تقدم خلق الأقوات، وظاهر النازعات تأخره؟

جوابـه:أن **(ثُمَّ)** هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الأخبار ترتيب الوقوع، كقوله تعالي:**"ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ"**([١٨٦])، فهذا مما انفرد بتوجيهه([١٨٧]) كما أنه رحمه الله – تفرد بذكر بعض المعاني التي لم يُسبق بها، وهذا يدل – كما ذكرت – على أنه كان متفرد الفكرة ويأتي بما هو جديد، ومن أمثلة ذلك: قـوله في توجيه قوله تعالـي: **"الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"**([١٨٨]) ما نصه: مسألة: **" الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"؟**.

([١٨٢]) كشف المعاني ص ٩٧، ٩٨ طبعة دار الوفاء، ص٥٩، ٦٠ طبعة دار المنار.

([١٨٣]) انظر: درة التنزيل للخطيب الإسكافي ص ٧:١٠، ملاك التأويل لابن الزبير ج١ ص ٣٦: ٤٠.

([١٨٤]) الآية (٢٩) سورة ا لبقرة.

([١٨٥]) الآية (٣٠) النازعات.

([١٨٦]) الآيتان (١٥٣، ١٥٤) سورة الأنعام.

([١٨٧]) كشف المعاني ص ٩١ طبعة دار الوفاء.

([١٨٨]) الآية (٣) سورة الفاتحة.

ذكر المفسرون في إيراد الإسميين مع اتحاد المعني فيهما معاني كثيرة مذكورة في كتب التفسير لم نطل بها هنا.

وأحسن ما يقال – مما لم أقف عليه في تفسير – أن (فعلان) صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمه والامتلاء منه، ولا يلزم منه الدوام لذلك كغضبان، وسكران، ونومان.

وصيغة (فعيل) لدوام الصفه ككريم، وظريف، فكأنه قيل: العظيم الرحمة الدائمها، ولذلك لما تفرد الرب – سبحانه – بعظم رحمته لم يُسّم بالرحمن – بالألف واللام – غيره(١٨٩) ا.هـ

فهذا المعنى اللطيف من المعاني التي تفرد ابن جماعة بذكرها واستنباطها وقد شهد بذلك تلميذه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى(١٩٠).

ويلاحظ على ابن جماعة أنه لم يقتصر في كتابه على توجيه الآيات المتشابهة، وإنما يورد بعض الآيات المفردة، ويوضح المراد منها، ومن ذلك ما ذكره في سورة إبراهيم، حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **" لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"**(١٩١)، ولم يقل: صبور، ولا شكّار، فما فائدة ذلك التغاير وكلاهما للمبالغة؟

جوابه: أن نعم الله تعالى مستمرة متجددة في كل حين وأوان، فناسب: **(شَكُورٍ)** لأن صيغة (فعول) تدل على الدوام كصدوق ورحوم وشبهه، وأما المؤلمات المحتاجة إلى الصبر عليها، فليست عامة، بل تقع في بعض الأحوال، فناسب: **(صَبَّارٍ)** لأن (فعالًا) لا يشعر بالدوام كنّوام وركّاب وأكّال، ولمراعاة رؤوس الآي(١٩٢)ا.هـ ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة الشعراء، حيث قال: مسألة: قوله تعالى: **"قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ"**(١٩٣)؟ جوابه:المراد الضالين عن الصواب فيها، لا الضالين في الدين(١٩٤)ا.هـ

كما يلاحظ أنه أحيانًا يذكر أكثر من جواب في توجيه المسألة الواحدة فيقول: جوابه.... ثم يقول: جواب آخر، وهكذا..

---

(١٨٩) كشف المعاني ص ٨٥ طبعة دار الوفاء.

(١٩٠) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص٢٣٢، القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وأثاره ص ٢٨٩.

(١٩١) الآية (٥).

(١٩٢) كشف المعاني ص ٢١٩، ٢٢٠ طبعة دار الوفاء.

(١٩٣) الآية (٢٠) سورة الشعراء، ومعني المسألة: كيف قال نبي الله موسى- عليه السلام- إنه من الضالين؟.

(١٩٤) كشف المعاني ص ٢٧٨.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة آل عمران حيث قال: مسألة: قوله تعالي:**"وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ"**(١٩٥)، وفي الأنفال: **"وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ"**(١٩٦)؟

جوابه: أن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو قوله **(لَكُمْ)** فختمت الجملة التي تليها بمثله، وهو قوله **(بِهِ)** لتناسب الجملتين، وآية الأنفال: خلت الأولى عن ذلك فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول.

وجواب آخر: وهو أنه لما تقدم في سورة الأنفال:**(لَكُمْ)** في قوله: **(فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)** علم أن البشرى لهم، فأغنى الأول عن ثان، ولم يتقدم في آل عمران مثله، وأما**(بِهِ)**فلأن المفعول قد تقدم على الفاعل لغرض صحيح من اعتناء، أو اهتمام، أو حاجة إليه في سياق الكلام، فقدم **(بِهِ)** هنا اهتمامًا، وجاء في آل عمران على الأصل.

وجواب آخر: وهو التفنن في الكلام(١٩٧) ا.هـ

ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة المائدة حيث قال: قوله تعالي:**"يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا"**(١٩٨) وقال تعالى: **" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**..الآية "(١٩٩)، وقوله تعالي: **" لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ"**(٢٠٠). والأنبياء أولى بذلك منا، فكيف الجمع بين الموضعين؟

جوابه: أن المنفي علم ما أظهروه مع ما أبطنوه: معناه لا نعلم حقيقة جوابهم باطنًا وظاهرًا، بل أنت المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا ولذلك قالوا: **(إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** وإنما نعلم ظاهر جوابهم أما باطنه فأنت أعلم به.

جواب آخر: أن معناه أن جوابهم لما كان في حال حياتنا ولا علم لنا بما كان منهم بعد موتنا لأن الأمور محالة علي خواتيمها(٢٠١) أ.هـ

---

(١٩٥) الآية (١٢٦).

(١٩٦) الآية (١٠).

(١٩٧) كشف المعاني ص ١٣٢.

(١٩٨) الآية (١٠٩).

(١٩٩) الآية (٤١) سورة النساء.

(٢٠٠) الآية (١٤٣) سورة البقرة.

(٢٠١) كشف المعاني ص ١٥٢، وقال الرازي- في مسائله: هذا جواب الدهشة والحيرة حين تطيش عقولهم من زفرة جنهم- نعوذ بالله تعالي منها- ومثله لا يفيد نفي العلم ولا إثباته.

**الثاني: أنهم قالوا ذلك تعريضًا بالتشكي من قومهم وإظهارًا للالتجاء إلى الله تعالي في الانتقام منهم، كأنهم قالوا: " أنت أعلم بما أجابونا من التصديق والتكذيب " انظر " مسائل الرازي ص ٧٨.

وكثيرًا ما نجد ابن جماعة إذا ما تكررت الآيات المتشابهة في سور مختلفة فإنه يحيل الجواب إلى الموضع الذي أجاب عنها فيه، فيقول: جوابه في سورة كذا، أو تقدم في كذا، ومن ذلك: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"**(٢٠٢)، وقد قال تعالى: **"إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا"**(٢٠٣)، جوابه: في سورة غافر(٢٠٤) ، ومنه ما ذكره في سورة المائدة حيث قال: قوله تعالي:**"كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ"**(٢٠٥) جوابه: تقدم قريبًا في النساء(٢٠٦)، ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة الأعراف حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **" وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ"**(٢٠٧) الآيات: جوابه: تقدم في البقرة(٢٠٨). وهكذا يحيل الجواب إلى ما تقدم أو تأخر من المواضع تجنبًا للتكرار.

وفي بعض المسائل يكرر أجوبتها بطرق مختلفة إن وردت في عدة مواضع، ومن ذلك: ما ذكره في سورة المائدة حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا"**(٢٠٩) قدم الضر على النفع هنا، وفي موضع آخر: قدم النفع على الضر كما في سورة الأنعام والأنبياء؟

جوابه: أن دفع الضر أهم من جلب النفع وإن كانا مقصودين، ولأنه يتضمنه أيضًا، فإذا تقدم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضر أهم، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم، لأنه المقصود غالبًا بالسؤال، ولذلك قال في

---

(٢٠٢) الآية (٦١) سورة البقرة.
(٢٠٣) الآية (٥١) سورة غافر.
(٢٠٤) كشف المعاني ص ٩٩، ص ٣٢٠ طبعة دار الوفاء.
(٢٠٥) الآية (٨) سورة المائدة.
(٢٠٦) كشف المعاني ص ١٤٥، ص ١٤٢ طبعة دار الوفاء.
(٢٠٧) الآية (١٦١) سورة الأعراف.
(٢٠٨) كشف المعاني ص ١٨٣، ص ٩٦.
(٢٠٩) الآية (٧٦) سورة المائدة.

الحج: **"يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ"**[٢١٠] أي: يدعوه لنفع لمن ضره أقرب من نفعة المطلوب بالدعاء[٢١١] ا. هـ ثم كرر الجواب في موضع آخر مع زيادة عليه، وذلك في سورة الأنعام حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"قُلْ أَنَدْعُواْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا"**[٢١٢]، وكذلك في سورة الأنبياء: **"مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ"**[٢١٣] قدم النفع على الضر، وفي الحج والفرقان وغيرهما: قدم الضر علي النفع؟ جوابه: أن دفع الضر أهم من جلب النفع، فلما تقدم ذكر نفي الملك والقدرة عنهم، كان تقديم ذكر دفع الضر وانتفاء القدرة عليه أهم.

ولما كان سياق غير ذلك في العبادة والدعاء، والمقصود بهما غالبًا طلب النفع وجلبه، كان تقديم النفع أهم، ولذلك قال في الحج: **" يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ"**[٢١٤] المقصود بالدعاء[٢١٥]

وهكذا إذا كرر مسألة أتى في الجواب بإضافة جديدة، الأمر الذي يدل على براعة ابن جماعة ودقته في الشرح والتعليل والتوجيه، كما تظهر براعته – أيضًا – في توجيه وتعليل آيات الأحكام واستنباط الحكم المناسب منها، ومن ذلك**:** التفرقة بين نفقة المطلقة المدخول بها، وغير المدخول بها، حيث أثبت أن أحقية النفقة للمدخول بها واجب، ولغير المدخول بها استحسان، لأنه ليس في مقابلة شيء، واستدل على ذلك بأنه – تعالي – غاير في أحوال المطلقتين في الأسلوب فقال تعالي: **"مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ"**[٢١٦] ثم قال بعد ذلك: **"وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"**[٢١٧]، وفي توجيه الآيتين وتعليل الاختلاف بينهما قال ما نصه: إن الآية الأولى: في مطلقة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء لا تسمية ولا دخول.

وهو وإن أوجبه قوم في الصورة مجرد إحسان، فناسب: (**الْمُحْسِنِينَ**).

---

(٢١٠) الآية (١٣) سورة الحج.

(٢١١) كشف المعاني ص ١٥١.

(٢١٢) الآية (٧١) سورة الأنعام.

(٢١٣) الآية (٦٦) سورة الأنبياء.

(٢١٤) الآية (١٣) سورة الحج.

(٢١٥) كشف المعاني ص ١٦٢.

(٢١٦) الآية (٢٣٦) سورة البقرة.

(٢١٧) الآية (٢٤١) من نفس السورة.

والآية الثانية: في المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين النفقة، ونفقة الرجعية واجبة، وهي المراد بالمتاع عند المحققين، فناسب: **(حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)**. ورجح أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله:**(مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ)**[٢١٨] والمراد به النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال: **(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ)** فظهر أنه النفقة في عدة الرجعية بخلاف المطلقة البائن بخلع فإن الطلاق من جهتها فكيف تعطي المتعة التي شرعت جبرًا للكسر بالطلاق وهي الراغبة فيه وباذلة المال فيه، فظهر أن المراد ب (**مَتَاعٌ**) هنا: النفقة زمن العدة لا المتعة.

وللعلماء في هاتين الآيتين اضطراب كثير، وما ذكرته أظهر، والله تعالي أعلم، لأنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقى حكم المطلقة الرجعية فيحمل عليه[٢١٩]**.**ا.هـ.

وبهذا التوجيه والتعليل للآيتين نجد أن ابن جماعة ينظر في الأدلة نظرة فاحصة واعية، يتذوق الدليل ويمعن النظر فيه، ثم يسوقه ذكاؤه النادر وفهمه المستقيم إلى التفريق بين متاع (نفقة) عبر الله تعالي عنها بقوله: **(حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)**وبين نفقة أخرى عبر عنها بقوله:**(حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)**.

والتعبير عن الحق في الأولى بأنه (إحسان) يدل على أنه غير واجب – وإن أوجبه قوم – والتعبير عنه في الثانية بأنه (على المتقين) يفيد الوجوب.

كما رجح أن معني المتاع في الآيتين هو (النفقة) واستدل علي ذلك باستعمال النظر الثاقب المفهوم من إضافة المتاع إلى الحول، وفهم من إضافة المطلقة إلى المتاع أنه نفقة الرجعية لا نفقة البائن بخلع، لأن الطلاق في الرجعية من جهة الزوج، فالنفقة جبر للكسر بالطلاق والمخلوعة طلاق من جهتها وهي الراغبة فيه.

وهذا يؤكد ما ذكرته من دقة ابن جماعة في التوجيه والتعليل، وقدرته الفائقة علي استنباط الحكم المناسب الذي تطمئن إليه النفس، وقد أضفى هذا علي كتابه أهمية كبيرة، وجعل من يأتي بعده يفيد منه، فرحمه الله رحمة واسعة.

ثانيا: الوسائل التي اعتمد عليها ابن جماعة في توجيه المتشابه:

---

(٢١٨) الآية (٢٤٠) من نفس السورة.

(٢١٩).

ذكرت – فيما سبق – أن الإمام بدر الدين بن جماعة قد أخضع الجواب على المسائل التي ذكرها إلى ثلاثة مصادر، وهي: النقل، واللغة، والتدبر وإمعان النظر، وأن أكثر إجاباته عن تلك المسائل راجع إلى الاستنباط اللغوي والبلاغي، وبهذا يتضح لنا منهجه في توجيه المتشابه، كما يتضح أهم الوسائل التي اعتمد عليها في ذلك وهي:

أولًا- القرآن الكريم:

وهو من أهم الوسائل التي اعتمد عليها ابن جماعة في توجيه المتشابه، ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما أختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر([٢٢٠]).

ومن صور اعتماده على القرآن في توجيه المتشابه:

١) اعتماد النص: ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ"**([٢٢١])، وفي النازعات:**"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا"**([٢٢٢]) ظاهر آية البقرة، حم السجدة([٢٢٣]) تقدم خلق الأقوات، وظاهر النازعات تأخره؟ جوابه: أن **(ثُمَّ)** هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الأخبار ترتيب الوقوع، كقوله تعالي: **"ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ "**([٢٢٤]). ولا ريب في تقدم إيتاء موسي الكتاب على وصيته لهذه الأمة([٢٢٥]).

فقد استدل ابن جماعة هنا بآية البقرة على أن (ثم) في قوله تعالـي: **" ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ "** لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع، ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره في سورة التكاثر حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ"**([٢٢٦]) وفيه توكيد الخبر، وقال تعالي: **"إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**... الآيتين "([٢٢٧])؟ جوابه:

([٢٢٠]) مقدمة في أصول التفسير لابن تيميه ص ٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٤.

([٢٢١]) الآية (٢٩) سورة البقرة.

([٢٢٢]) الآية (٣) سورة النازعات.

([٢٢٣]) الآية (٤) سورة فصلت.

([٢٢٤]) الآيتان (١٥٣، ١٥٤) سورة الأنعام.

([٢٢٥]) كشف المعاني ص ٩١ طبعة دار الوفاء.

([٢٢٦]) الآية (٦) سورة التكاثر.

([٢٢٧]) الآية (١٠١) سورة الأنبياء.

تقدم في سورة الأنبياء، وقيل: هو خطاب للمشركين خاصة، والمراد رؤية دخول وحلول فيها وهو عين اليقين، وقيل: هو الخطاب للناس كقوله تعالي: **"وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا"**(٢٢٨) فالمؤمن ناج منها والكافر داخل فيها(٢٢٩).

فقد استدل بآية سورة مريم علي أن الخطاب في قوله تعالي: **"لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ"** عام للناس، وهكذا يعتمد ابن جماعة في توجيه بعض المسائل على النص القرآني

٢) سياق الآيات: وقد اعتمد عليه كثيرًا في توجيه المتشابه، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: مسألة: قوله تعالـي: **" رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ"**(٢٣٠)، وقال في آل عمران والتوبـة: **" مِنْ أَنْفُسِهِمْ"**(٢٣١) و**" مِنْ أَنْفُسِكُمْ"**(٢٣٢)؟

جوابه: أن آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم، وفي آل عمران والتوبة في سياق المنة عليهم والرحمة والإشفاق منه عليهم، فناسب ذكر: **" مِنْ أَنْفُسِهِمْ"** لمزيد الحنو والمنة، وكذلك: **" بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"**(٢٣٣).

ومن أمثلة ذلك – أيضا: ما ذكره في سورة الأعراف حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ"**(٢٣٤) وفي يونس: **" بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ"**(٢٣٥)؟

جوابه: أما آية يونس – عليه السلام – فلتقدم قوله – في قصة نوح: **" " وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا "** فعدى كذبوا بآياتنا بما عداه أولًا، ولم يتقدم في الأعراف التكذيب متعديًا بالباء. كقوله تعالي: **" وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ"**، فناسب كل موضع ما قبله.

وأما قوله:**"كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ"**، وفي يونس: **"نطْبَعُ"** فلتناسب كل آية ما تقدمها فالأعراف تقدمها إظهار بعد إضمار في قوله: **"أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا"**(٢٣٦) ثم قال:

---

(٢٢٨) الآية (٧١) سورة مريم.
(٢٢٩) كشف المعاني ص ٣٧٩.
(٢٣٠) الآية (١٢٩) سورة البقرة.
(٢٣١) الآية (١٦٤) سورة آل عمران.
(٢٣٢) الآية (١٢٨) سورة التوبة.
(٢٣٣) كشف المعاني ص ٦٤.
(٢٣٤) الآية (١٠١) سورة الأعراف.
(٢٣٥) الآية (٧٤) سورة يونس.
(٢٣٦) الآية (٩٧) سورة الأعراف.

"أَفَأَمِنُوا مَكْرَ"[٢٣٧]، فناسب ذلك: **"نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنْبَائِهَا"، "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ"**، وأيضًا لما أكد أول الآية بالقسم ناسب ذلك تعظيم الطبع بنسبته إلى اسم الله تعالي، وناسب التصريح بوصفهم بالكفر الذي معناه أقبح وأشد من معني الاعتداء، فناسب كل آية ما ختمت به[٢٣٨] ا.هـ.

وهكذا يعتمد ابن جماعة على السياق وربط الآيات بما قبلها وما بعدها في توجيه كثير من المسائل التي ذكرها.

٣) الفاصلة أو رؤوس الآي: ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة آل عمران حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ"**[٢٣٩]، وفي مريم: قدم ذكر المرأة[٢٤٠]؟

جوابه: لتناسب رؤوس الآي في مريم لقوله: **"عِتِيًّا"، "وَعَشِيًّا"، "خَفِيًّا "** وأيضًا لما قدمه أولًا بقوله::**"وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي"**[٢٤١]، **"وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا"** آخره ثانيًا تفننًا في الفصاحة[٢٤٢].

ومن ذلك: ما ذكره في سورة طه حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى"**[٢٤٣]، وفي غيره من المواضع: **"خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ"**[٢٤٤] فبدأ بالسموات؟

جوابه: أما أولًا: فلموافقة رؤوس الآي، ولأنه الواقع لأن خلق الأرض قبل السماء، وأيضًا: لما ذكر أن إنزال القرآن تذكرة لمن يخشي وهم سكان الأرض ناسب ذلك البداءة بالأرض التي أنزل القرآن تذكرة لأهلها، وأما البداءة بالسماوات: فلشرفها وعظمها[٢٤٥].

---

(٢٣٧) الآية (٩٩) سورة الأعراف.

(٢٣٨) كشف المعاني ص ١٨٤، ١٨٥.

(٢٣٩) الآية (٤) سورة آل عمران.

(٢٤٠) الآية (٥) سورة مريم.

(٢٤١) الآية (٤) سورة مريم.

(٢٤٢) كشف المعاني ص ١٢٨ طبعة دار الوفاء.

(٢٤٣) الآية (٤) سورة طه.

(٢٤٤) في مواضع عديدة منها: الآية (١) سورة الأنعام، الآية (٥٤) سورة الأعراف.

(٢٤٥) كشف المعاني ص ٢٥٠.

ثانيا- السنة النبويـة:

السنة هي المبينة والموضحة للقرآن الكريم، قال تعالى: **"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"**(٢٤٦)، وقد اعتمد ابن جماعة على السنة المطهرة في توجيه بعض المسائل المتشابهة، ومن ذلك: ما ذكره في سورة الانشقاق حيث قال: قوله تعالي:**"إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ"**(٢٤٧)، وفي سورة التيـن: **"إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ"**(٢٤٨) بالفاء؟

جوابه: أن الاستثناء في سورة التين متصل فتم الكلام به، والاستثناء في **" انْشَقَّتْ "** منقطع بمعني (لكن) فلم يتم الكلام به، لأن المراد بـ**" أَسْفَلَ سَافِلِينَ"** هرمه وضعفه، وضعف حواسه وعدم قدرته على الأعمال، فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحًا فإنا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم، كما ورد في الحديث(٢٤٩). أ.هـ.

وهو هنا يشير إلى قوله – ﷺ-: إذا اشتكي العبد المسلم قيل للكاتب الذي يكتب عمله: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا، حتي أقبضه أو أطلقه(٢٥٠) ، ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة الشرح حيث قال: مسألة: قوله تعالي:**"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"**(٢٥١) ما فائدة تكراره؟

جوابه: أن اليسر الثاني غير (اليسر) الأول بدليل تنكيره، والعسر الأول هو الثاني بدليل تعريفه باللام، وفي الحديث: لن يغلب عسر يسريّن(٢٥٢) إشارة إلى ما ذكرناه(٢٥٣).

ثالثا – أسباب النزول:

إن معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية وتزيل الإشكال عنها، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولذلك اعتمد ابن جماعة على أسباب النزول في توجيه المتشابه،

---

(٢٤٦) الآية (٤٤) سورة النحل.

(٢٤٧) الآية (٢٥) سورة الانشقاق.

(٢٤٨) الآية (٦) سورة التين.

(٢٤٩) كشف المعاني ص ٣٧٥، ٣٦٧، وانظر تفسير الكشاف ج ٤ ص ٦٠٥.

(٢٥٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٠٥ عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما.

(٢٥١) الآية (٥) سورة الشرح.

(٢٥٢) الحديث أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد ج ١ ص ٢٩٦، الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥٢٨ كتاب التفسير عن الحسن مرسلًا.

(٢٥٣) كشف المعاني ص ٣٧٧.

وأمثلة ذلك كثيرة منها: ما ذكره في سورة الأنعام حيث قال: مسألة: قوله تعالي: " **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**"(٢٥٤)، وفي يونس: **"يَسْتَمِعُونَ"**(٢٥٥)، **"وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ"**(٢٥٦)؟

جوابه: أن آية الأنعام في أبي جهل والنضر وأُبّي لما استمعوا قراءة النبي – صلي الله عليه وسلم – على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: أساطير الأولين(٢٥٧) ، فلما قل عددهم أفرد الضمير مناسبة للمضمرين، وآية يونس عامة لتقدم الآيات الدالة على ذلك، كقوله تعالي: **"وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ"**(٢٥٨) فناسب ذلك ضمير الجمع، وأفرد **(مَنْ يَنْظُرُ)** لآن المراد: نظر المستهزئين فأفرد الضمير. أو أنه لما تقدم ضمير الجمع أفرد الثاني تفننًا واكتفى بالأول، أو تخفيفًا مع حصول المقصود(٢٥٩). ا.هـ.

ومن ذلك-أيضًا- ما ذكره في سورة التوبة حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **"أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ"** إلى قوله: **"لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"**(٢٦٠) وقال بعده: **"فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"**(٢٦١)، وقال بعده: **" زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"**(٢٦٢)؟

جوابه: أن الأولى نزلت في الذين فضلوا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على الإيمان والجهاد(٢٦٣)، فوضعوا الأفضل في غير موضعه وهو معني الظلم، أو نقصوا الإيمان بترجيح الآخر عليه. والظلم: النقص كقوله تعالي: **" وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا"**(٢٦٤) ، والثانية في المسلمين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء، وبعض الفسق لا ينافي الإيمان، والثالثة في الكفار الذين كانوا ينسئون الشهور فيحلون حرامها ويحرمون حلالها، ولذلك

---

(٢٥٤) الآية (٢٥) سورة الأنعام.
(٢٥٥) الآية (٤٢) سورة يونس.
(٢٥٦) الآية (٤٣) سورة يونس.
(٢٥٧) أسباب النزول للواحدي ص ١٦٠.
(٢٥٨) الآية (٤٠) سورة يونس.
(٢٥٩) كشف المعاني ص ١٥٩ طبعة دار الوفاء.
(٢٦٠) الآية (١٩) سورة التوبة.
(٢٦١) الآية (٢٤) من نفس السورة.
(٢٦٢) الآية (٣٧) من نفس السورة.
(٢٦٣) أسباب النزول للواحدي ص ١٨٢.
(٢٦٤) الآية (٢٣٣) سورة الكهف.

قال تعالي: **" زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ"**[٢٦٥] ا.هـ.

رابعا - النسخ:

أعتمد ابن جماعة على النسخ في توجيه بعض المسائل المتشابهة، ومن ذلك: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالي: **"فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"**[٢٦٦] كرر ذلك، فما فائدته؟

جوابـه: أن الأول: إعلام بنسخ استقبال بيت المقدس له ولأمته، والثانية: لبيان السبب وهو اتباع الحق لقوله تعالي: **"وإِنَّهُ للحَقُّ"** توكيد لذلك، والثالثة:إعلام بالعلة وهو **(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)** وبعموم الحكم في سائر الناس والأقطار والجهات وسائـر الأزمنـة، لاحتمال تخيل أن ذلك مخصوص بجهة المدينة وما والاها وهي جهة الجنوب، أو أنه خاص بمن يشاهد الكعبة أو قصد بتكراره مزيد التوكيد في استقبال الكعبة والتمسك به، لأن النسخ في مظان تطرق الشبهة والبداء على ضعفاء النظر كما قالوا:**"مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا"**[٢٦٧] فلذلك بالغ في التأكيد بتكرار الأمر[٢٦٨] ا.هـ

ومن ذلك أيضًا: ما ذكره في سورة النور حيث قال: قوله تعالـي: **" الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً"**[٢٦٩] وقد يتزوج العفيف الزانية وعكسه؟.

جوابـه: أنه منسوخ بآية النساء[٢٧٠] ا.هـ.

وهكذا يعتمد ابن جماعة على النسخ في توجيه المتشابه، والمقصود بآية النساء – هنا – قوله تعالي:**"فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"**[٢٧١] فأجازت الآية الناسخة جواز نكاح الزاني بالزانية، وآية النور منسوخة بها، وهذا القول رواه مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاووس ومالك بن أنس وأبو حنيفة وأصحابه، وعليه أكثر أهل العلم مستدلين بأن الحرام لا يحرم الحلال

([٢٦٥]) كشف المعاني ص ١٩٤ طبعة دار الوفاء.

([٢٦٦]) الآيات (١٤٤، ١٤٩، ١٥٠) سورة البقرة.

([٢٦٧]) الآية (١٤٢) سورة البقرة.

([٢٦٨]) كشف المعاني ص ١٠٨، ١٠٩، الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص ٤٠، ٤١.

([٢٦٩]) الآية (٣) سورة النور.

([٢٧٠]) كشف المعاني ص ٢٧٠.

([٢٧١]) الآية (٣) سورة النساء.

لقوله – ﷺ – عندما سئل عن رجل زنى بامرأة – هل له أن يتزوجها؟ فقال:أوله سفاح وآخره نكاح، وسئل ابن عباس عن ذلك فأجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجر ثم اشتراه، وقد ضعف الفخر الرازي في تفسيره هذا القول ورده بأدلة عقلية لا مجال لها هنا، وفي الجواب عن هاتين الآيتين أقوال أخرى منها: أن المقصود بآية سورة النور تشنيع الزنى وتبشيع أمره، أو أنها خاصة في رجل أو قوم بأعيانهم، ومنها أنها أريد بها منع الزواج بالزناة الذين أقيم عليهم الحد([٢٧٢]).

خامسًا - اللغة العربيـة:

كثيرًا ما يعتمد ابن جماعة على اللغة في توجيه المتشابه، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره في سورة الأعراف حيث قال: مسألة: قوله تعالي: **" فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"**([٢٧٣]) فأفرد، وفي هود: **"وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ"**([٢٧٤]) فجمع؟

جوابـه: أن المراد بالرجفة: الزلزلة العظيمة فصح الإفراد، لأن المراد بدارهم: بلدهم المزلزل، والمراد بالصيحة: صحية من السماء والمراد بديارهم: منازلهم فصح الجمع([٢٧٥]) أ.هـ.

ومن ذلك أيضًا: ما ذكره في سورة (المؤمنون) حيث قال: قوله تعالي: **"فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"**([٢٧٦]). ظاهره الاشتراك في الخلق، وفي فاطر: **"هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ"**([٢٧٧])؟

جوابه: أن المراد بالخلق: التقدير، ويطلق الخلق على التقدير لغة، ومنه قوله تعالي:**"وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا"**([٢٧٨]) لكن عند الإطلاق يختص بالله تعالي، كالرب يطلق علي رب

([٢٧٢]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ ص ٤٥٥٩، ٤٥٦٠، الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١٩٣، ١٩٤، التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٣ ص ١٥١، تفسير الموارديي ج ٤ ص ٧٣.

([٢٧٣]) الآية (٧٨) سورة الأعراف، وكذلك في الآية (٩١).

([٢٧٤]) الآية (٦٧) سورة هود، وكذلك في الآية (٩٤).

([٢٧٥]) كشف المعاني ص ١٧٩، ١٨٠ طبعة دار الوفاء.

([٢٧٦]) الآية (١٤) سورة المؤمنون.

([٢٧٧]) الآية (٣) سورة فاطر.

([٢٧٨]) الآية (١٧) سورة العنكبوت.

المال والدار، وعند الإطلاق لله تعالي[٢٧٩] ا.هـ.

سادسا - النحـو:

وقد اعتمد عليه ابن جماعة في توجيه الكثير من الآيات المتشابهة، ومن

ذلك: ما ذكره في سورة الأنعام حيث قال: مسألة: قوله تعالـي: **"إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ"**[٢٨٠] ، وفي سائر المواضع: **" يُخْرِجُ "**[٢٨١] بالياء؟

جوابـه: أن **(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)** مناسب في المعنى لفلق الحب والنوى عن الخارج عنهما، فجئ بالياء كالشرح له، ثم عطف **(مُخْرِجُ)**، على **(فَالِقُ)** لأن عطف الإسمية على الإسمية أنسب وأفصح، ولما فيه من المقابلة للجملة المتقدمة، وسائر المواضع بالياء، لأن الجملة قبلهـا فعلية، فعطف عليها بفعلية[٢٨٢] ا.هـ.

ومن ذلك أيضًا: ما ذكره في سورة الإسراء حيث قال: مسألة: قوله تعالي:**"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ "**[٢٨٣] ، وفي يس والأحقاف: **" بِقَادِرٍ"**[٢٨٤]؟

جوابـه: أن **(قَادِرٍ)** هنا خبر **(أَنَّ)** المثبتة فلم تدخله الباء، وفي يس هو خبر **(لَيْسَ)** النافية، فدخلت الباء في خبرها، وفي الأحقاف لما أكد النفي بنفي ثان، وهو قوله تعالي: **"وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ"**[٢٨٥] ناسب دخول الباء في **(بِقَادِرٍ)**[٢٨٦] ا.هـ.

ومن ذلك: ما ذكره في سورة يس حيث قال: مسألـة: قوله تعالـي: **" مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ "**[٢٨٧]؟

جوابـه: إن جعلت **(مَا)** نافية فقد تقدم الجواب في فاطر، وإن جعلتها مصدرية أو

---

(٢٧٩) كشف المعاني ص ٢٦٦ طبعة دار الوفاء.

(٢٨٠) الآية (٩٥) سورة الأنعام.

(٢٨١) الآية (٣١) سورة يونس، الآية (١٩) سورة الروم.

(٢٨٢) كشف المعاني ص ١٦٣.

(٢٨٣) الآية (٩٩) سورة الإسراء.

(٢٨٤) الآية (٨١) سورة يس، والآية (٣٣) سورة الأحقاف.

(٢٨٥) الآية (٣٣) سورة الأحقاف.

(٢٨٦) كشف المعاني ص ٢٣٧ طبعة دار الوفاء.

(٢٨٧) الآية (٦) سورة يس.

موصولة فالمراد: كإنذار آبائهم، فإن إنذار إسماعيل لم يزل فيهم إلى زمن عمرو بن لُحي([٢٨٨]) ا.هـ.

سابعًا- الاشتقاق:

كذلك اعتمد ابن جماعة-رحمه الله – على الاشتقاق في توجيه المتشابه، ومن امثلة ذلك ما ذكره في سورة القيامة حيث قال: مسألة: قوله تعالي " **أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى** "([٢٨٩]) ما معناه؟ وما فائدة تكراره؟.

جوابه: هو دعاء على المخاطب بالويل، وهو مشتق من (ولي) إذا قرب، ومعناه: أقرب لك الويل، وأما تكراره فإما توكيد له، أو أن الأول للدنيا والثاني للآخرة أي: ويل له فيهما([٢٩٠]).

فقد اعتمد ابن جماعة هنا علي الاشتقاق في بيان حقيقة لفظ أولى وكيف انه مشتق من ولي يلي إذا قرب ثم ذكر فائدة تكراره.

ثامنا – الشعر

الشعر هو ديوان العرب، ولذا اعتمد عليه ابن جماعة في توجيه المتشابه، ومن امثلة ذلك ما ذكره في سورة فصلت حيث قال: مسألة: قوله تعالي **" ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ.. الآية "**([٢٩١]) و(**ثُمَّ**) تقتضي الترتيب فظاهره أن تسوية السماء بعد دحي الارض واقواتها وبركاتها، وقد قال تعالي – في النازعات **"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا "**([٢٩٢])

جوابه: أن (**ثُمَّ**) قد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب الواقع المخبر عنه، فيكون تقديره: ثم يخبركم أنه **"اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ"**([٢٩٣])، ونحوه قوله تعالي في سورة

([٢٨٨]) كشف المعاني ص ٣٠٤ وعمرو بن لحى: هو ابن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وكنيته أبو ثمامة، انظر: الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٨٤.

([٢٨٩]) الآيتان (٣٤، ٣٥) سورة القيامة.

([٢٩٠]) كشف المعاني ص ٣٦٩.

([٢٩١]) الآية (١١) سورة فصلت.

([٢٩٢]) الآية (٣٠) سورة النازعات.

([٢٩٣]) الآية (١٥٤) سورة الانعام.

الأنعام"**ثُمَّ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...الآية**"[٢٩٤] بعد قوله تعالي: " **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** "، وهو كثير في القرآن وكلام العرب، ومنه البيت المشهور، وهو:

إن من ساد ثم ساد أبـوه ثم قد ساد بعد ذلك جده[٢٩٥]

فقد استشهد ابن جماعة هنا بهذا البيت من الشعر على أن (ثم) قد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب الواقع.

تاسعًا – البلاغـة:

وقد اعتمد عليها ابن جماعة كثيرًا في توجيه المتشابه، وبيان الحكمة من اختلاف الآيات المتشابهة بالتقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، وغير ذلك مما أشار إليه في مقدمة كتابه، ومن ذلك:

١- التقديم والتأخير: وأمثلته كثيرة منها: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالى: " **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ...** الآية "[٢٩٦]، وكذلك في جميع القرآن قدم السمع علي البصر، فما فائدته؟

جوابـه: أن السمع أشرف، لأن به تثبت النبوات، وأخبار الله تعالي وأوامره ونواهيه وأدلته وصفاته تعالي، بخلاف البصر، ولذلك لم يبعث الله نبيًا أصم أصلًا، وفي الأنبياء من كان مكفوفًا[٢٩٧] فقد بين هنا أنه لا بد للتقديم من سبب، وأن السمع تقدم على البصر لأنه أشرف، لأن به تثبت النبوات وأخبار الله تعالي وأوامره.

ومن أمثلة ذلك – أيضًا – ما ذكره عند قوله تعالي: " **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ** "[٢٩٨] وقال بعد ذلك "**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ** "[٢٩٩] حيث قال: ما فائدة التقديم والتأخير، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى؟.

([٢٩٤]) الآية (١٥٤) سورة الأنعام.

([٢٩٥]) كشف المعاني ص ١٨٠، ١٨١ طبعة دار المنار، والبيت لأبي نواس انظر: ديوانه ص ٤٩٣، مغني اللبيب لابن هشام ج ١ ص ١٣٨.

([٢٩٦]) الآية (٧) سورة البقرة.

([٢٩٧]) كشف المعاني ص ٨٩.

([٢٩٨]) الآية (٤٨) سورة البقرة.

([٢٩٩]) الآية (١٢٣) نفس السورة.

جـوابـه: أن الضمير في (**مِنْهَا**) راجع في الأولى إلى النفس الأولى، وفي الثانية راجع إلى النفس الثانية، كأنه بين في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عـدل،

ولأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها، وبين في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند رده، فلذلك كله قال في الأولى:(**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**)، وفي الثانية:(**وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ**) لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له(٣٠٠).

فقد وضح هنا فائدة التقديم والتأخير في الآيتين، وبين أن كل لفظ ناسب موقعه من الآية.

٢- الفصل والوصل: ومن أمثلته ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالى: "**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**"(٣٠١)، وفي إبراهيم: "**وَيُذَبِّحُونَ**"(٣٠٢) بالواو، وفي الأعراف " **يُقَتِّلُونَ**"(٣٠٣)؟

جوابـه: أنه جعل (**يُذَبِّحُونَ**) هنا بدلًا من (**يَسُومُونَكُمْ**)، وخص الذبح بالذكر لعظم وقعه عند الأبوين، ولأنه أشد علي النفوس، وفي سورة إبراهيم تقدم قوله تعالي: "**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**"(٣٠٤)، فناسب العطف على سوم العذاب للدلالة على أنه نوع آخر، كأنه قال: يعذبونكم ويذبحون، ففيه يعدد أنواع النعم التي أشير إليها بقوله تعالي: (**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**)

وقد يقال: آية البقرة والأعراف من كلام الله تعالي لهم فلم يعدد المحن، وآية إبراهيم من كلام موسى فعددها(٣٠٥).

فقد علل الفصل في آية البقرة بأن قوله تعالي: (**يُذَبِّحُونَ**) بدل من قوله (**يَسُومُونَكُمْ**)،

---

(٣٠٠) كشف المعاني ص ٩٥.

(٣٠١) الآية (٤٩) سورة البقرة.

(٣٠٢) الآية (٦) سورة إبراهيم.

(٣٠٣) الآية (١٤١) سورة الأعراف.

(٣٠٤) الآية (٥) سورة إبراهيم.

(٣٠٥) كشف المعاني ص ٩٥، ٩٦.

أما آية إبراهيم فقد جاء الوصل فيها بالواو لتقدم قولـه **"وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ"** فناسب العطف بالواو.

ومن أمثلة الوصل والفصل أيضًا: ما ذكره في سورة آل عمران حيث قال: قوله تعالي: **"وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"**(٣٠٦) وفي العنكبوت:**"نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"**(٣٠٧) بغير واو في **(نِعْمَ)** ؟

جوابـه: لما تقدم عطف الأوصاف المتقدمة، وهي قوله: (للمتقين)، (الذين ينفقون)، (والكاظمين)، (والعـافين)، (والـذين إذا فعلوا) ، (ولم يصروا)، (جزاؤهم مغفرة)، (جنات)، (خالدين) ناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم، ولم يتقدم مثله في العنكبوت، فجاءت بغير (واو) كأنه تمام الجملة(٣٠٨).

ومن ذلك ما ذكره في سورة يونس حيث قال: قوله تعالي: **" كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا"**(٣٠٩) وفي سورة المؤمن:**"وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ"**(٣١٠) بالواو؟

جوابـه: أن المراد بمن قبلها ومن بعدها واحد في قوله تعالي: **" قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"**(٣١١)، **"قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ"**(٣١٢) الآيـات،

فحسن ترك الواو لذلك، وسورة المؤمن من بعدها غير من قبلها فناسب، لأن المتقدم قوم نوح ومن ذكر معهم، والمراد بالمتأخرين: المشركون ومن وافقهم أنهم أصحاب النار، فجاءت بالواو(٣١٣)

وهكذا يعلل ابن جماعة الفصل والوصل بمناسبتهما لسياق الآيات، فآية يونس جاءت بالفصل لمناسبة ما قبلها وما بعدها، وآية غافر جاءت بالوصل لأن من بعدها غير من قبلها.

الذكر والحذف: وقد يكون ذلك في الحروف أو الكلمات، أو الضمائر، ولذا يعد أكثر

---

(٣٠٦) الآية (١٣٦) سورة آل عمران.
(٣٠٧) الآية (٥٨) سورة العنكبوت.
(٣٠٨) كشف المعاني ص ١٣٣، ١٣٤.
(٣٠٩) الآية (٣٣) سورة يونس.
(٣١٠) الآية (٦) سورة غافر.
(٣١١) الآية (٣١) سورة يونس.
(٣١٢) الآية (٣٤) سورة يونس.
(٣١٣) كشف المعاني ص ٢٠٣، ٢٠٤.

أنواع المتشابه في القرآن الكريم، ومن أمثلته في الحروف: ما ذكره في سورة آل عمران حيث قال: قوله تعالى: **"فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"**(٣١٤) وفي فاطر: **" بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"**(٣١٥) بالباء في الثلاثة؟

جوابـه: أن آية آل عمران سياقها الاختصار والتخفيف، بدليل حذف الفاعل في **(كُذِّبَ)** وورود الشرط ماضيًا وأصله المستقبل، فحذف الجار تخفيفًا لمناسبة ما تقدم.

وآية فاطر سياقها البسط بدليل فعل المضارع في الشرط وإظهار فاعل التكذيب، وفاعل ومفعول **(جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ)** فناسب البسط ذكر الجار في الثلاثة(٣١٦).

فقد ذكر السر في الذكر والحذف هنا وأرجع ذلك إلى السياق في الآيتين.

ومن أمثلته في الكلمات: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قولـه تعالى: **"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"**(٣١٧) ، وقال تعالى في الأنفـال **" وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ "**(٣١٨)؟

جـوابـه: أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله ابن جحش لعمرو بن الحضرمي وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم تلك الحال. وآية الأنفال: نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى: **" وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"** أي: لا يعبد سواه(٣١٩) ا.هـ.

ويلاحظ أنه علل الذكر والحذف هنا وأرجع ذلك إلى سبب النزول في كل آية. ومن أمثلته في الضمائر: ما ذكره في سورة النحل حيث قال: قوله تعالي: **"وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ"**(٣٢٠) بزيادة **(هُمْ)**، وفي العنكبوت: **"يَكْفُرُونَ"**(٣٢١) بغير **(هُمْ)**؟

---

(٣١٤) الآية (١٨٣) سورة آل عمران.

(٣١٥) الآية (٢٥) سورة فاطر.

(٣١٦) كشف المعاني ص ١٣٤، ١٣٥.

(٣١٧) الآية (١٩٣) سورة البقرة.

(٣١٨) الآية (٣٩) سورة الأنفال.

(٣١٩) كشف المعاني ص ١١٣، ١١٤.

(٣٢٠) الآية (٧٢) سورة النحل.

(٣٢١) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.

٣- جوابه: ما تقدم أن آية النحل سياقها للمخاطبين متصل بقوله تعالي: **"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**.. الآية "[٣٢٢]، ثم عدل إلى الغيبة بقوله تعالي: **"أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ"**[٣٢٣]، فناسب **(هُمْ)** توكيدًا للغيبة كي لا تلتبس الغيبة بالخطاب، وآية العنكبوت للغائبين، فناسب حذف **(هُمْ)** لعدم **اللبس**[٣٢٤].

٤- التذكير والتأنيث: ومن أمثلته ما ذكره في سورة النساء حيث قال: قوله تعالى: **"مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ"**[٣٢٥]، وفي المائدة: **"مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ"**[٣٢٦]؟

جوابـه: أن آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات، فناسب جمع المؤنث بالإحصان، وآية المائدة في من يحل للرجال من النساء، فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال أيضًا تسوية بينهما، لأنه مطلوب فيها[٣٢٧]. ومن ذلك أيضًا: ما ذكره في سورة الأنبياء حيث قال: قوله تعالي: **"فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا"**[٣٢٨]، وفي التحريم: **" فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا"**[٣٢٩]؟

جوابـه: أن لفظ التذكير عند العرب أخف من التأنيث، وهاهنا لم يتكرر لفظ التأنيث كتكريره في التحريم فجاء فيها مؤنثًا، وفي التحريم تكرر لفظ التأنيث بقوله تعالي:**"وَمَرْيَمَ"** و**"ابْنَتَ"** و**"أَحْصَنَتْ"** و**"فَرْجَهَا"** فناسب التذكير تخفيفًا من زيادة تكرر التأنيث[٣٣٠]. ا.هـ.

وهكذا يعلل ابن جماعة التذكير والتأنيث في الآيات المتشابهة، سواء كان ذلك في الأسماء الظاهرة أو في الضمائر.

---

(٣٢٢) الآية (٧٢) سورة النحل.

(٣٢٣) الآية (٧٢) سورة النحل.

(٣٢٤) كشف المعاني ص ٢٣٠.

(٣٢٥) الآية (٢٥) سورة النساء.

(٣٢٦) الآية (٥) سورة المائدة.

(٣٢٧) كشف المعاني ص ١٣٧.

(٣٢٨) الآية (٩١) سورة الأنبياء.

(٣٢٩) الآية (١٢) سورة التحريم.

(٣٣٠) كشف المعاني ص٢٥٧، وقال الرازي في مسائله: حيث أنث أراد النفخ في ذاتها، وإن كان مبدأ النفخ من الفرج الذي هو مخرج الولد، أو جيب درعها على اختلاف القولين لأنه فرجة، وكل فرجة بين شيئين تسمي فرجًا في اللغة، وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها مما لا يحل كانت لنفسها أمنع، وحيث ذكر فظاهر، انظر: مسائل الرازي ص ٢٢٩.

٥- التعريف والتنكير: ومن أمثلته ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالي: **"رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا"**(٣٣١) وفي إبراهيم: **"هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا"**(٣٣٢)؟

جوابـه: أن البقرة دعا بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وسكنى جرهم فيها، وآية إبراهيم بعد عوده إليها وبناها(٣٣٣).

ومن ذلك ما ذكره في سورة البقرة – أيضًا – حيث قال: قوله تعالى: **" فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ"**(٣٣٤) وقال في الآية الأخرى: **"فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ"**(٣٣٥)؟

جوابـة: أن المراد بالآية الأولى ما شرعه الله تعالي من الأحكام، ولذلك عرفه بالألف واللام وبالإلصاق، و**(فِيمَا فَعَلْنَ)** أي من التعرض للخُطاب بالمعروف، والمراد بالثانية: أفعالهن بأنفسهن من مباح مما يتخيرنه من تزين للخطاب وتزويج، أو قعود أو سفر أو غير ذلك مما لهن فعله، ولذلك نكره وجاء فيه بـ **(مِنْ)**(٣٣٦).ا.هـ.

وهكذا يعلل ابن جماعة التعريف والتنكير في الآيات المتشابهة بما يرفع اللبس عنها.

٦- إبدال حرف بحرف آخر: ويكون ذلك في حروف العطف، كما يكون في حروف الجر، ومن أمثلته في حروف العطف: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالي: **" وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا"**(٣٣٧) وفي الأعراف: **" فَكُلَا "**(٣٣٨) بالفاء؟

جوابـه: قيل: إن السكن في البقرة للإقامة، وفي الأعراف اتخاذ المسكن، فلما نسب القول إليه تعالي: **" وَقُلْنَا يَا آَدَمُ "** ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكن والأكل، ولذلك قال فيه: **" رَغَدًا "** وقـال: **"حَيْثُ شِئْتُمَا"** لأنه أعم، وفي الأعراف:

---

(٣٣١) الآية (١٢٦) سورة البقرة.

(٣٣٢) الآية (٣٥) سورة إبراهيم.

(٣٣٣) كشف المعاني ص ١٠٥، ١٠٦، ومعني الجواب أنه جاء في البقرة (بلدًا) بالتنكير لأن مكة كانت واديًا لا بناء فيه، أي: أسألك يا رب أن تجعل هذا الوادي بلدًا أمنا، وعرفه في سورة إبراهيم قال: (هذا البلد) بعد أن تحول الوادي بناء فسماها (البلد) ودعا لها بالأمن والطمأنينة.

(٣٣٤) الآية (٢٣٣) سورة البقرة.

(٣٣٥) الآية (٢٤٠) من نفس السورة.

(٣٣٦) كشف المعاني ص ٧٠ طبعة دار المنار، ص ١١٦ طبعة دار الوفاء.

(٣٣٧) الآية (٣٥) سورة البقرة.

(٣٣٨) الآية (١٩) سورة الأعراف.

" **ويَا آَدَمُ** " فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد الاتخاذ، و**"مِنْ حَيْثُ"** لا يعطي عموم معني " **حَيْثُ شِئْتُمَا"**[٣٣٩].

ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة الأنعام حيث قال: قوله تعالـي: **"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا"** وختمها **"الظَّالِمُونَ"**[٣٤٠] وفي يونس: **"فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى"** بالفاء، وختمها **"الْمُجْرِمُونَ"**[٣٤١] ؟

جوابـه: أن آية الأنعام ليس ما قبلها سببًا لما بعدها فجاءت بالواو المؤذنة بالاستئناف، وآية يونس: ما قبلها سبب لما بعدها، فجـاءت بالفاء المؤذنة بالسببية فبرأته من إشراكهم ومعرفتهم ليس سببًا في أظلميتهم، ولبثه فيهم عمرًا من قبله وعلمهم بحاله سبب لكونهم أظلم، كأنه قيل: إذا صح عندكم أنه صدق فمن أظلم ممن افترى...[٣٤٢].

ومن ذلك أيضًا ما ذكره في سورة التوبة حيث قال:قوله تعالي: **"وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ "**[٣٤٣]

وقال بعد ذلك: **"فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ"**[٣٤٤]؟ فقال في الأولى:**"ثُمَّ تُرَدُّونَ** "وفي الثانيـة: **"وَسَتُرَدُّونَ"** وقال في الثانية: **"وَالْمُؤْمِنُونَ"؟**

جـوابه: أن الأولى في المنافقين بدليـل: **"قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ"** وكانوا يخفون من النفاق ما لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله بإعلامه إياه، والآية الثانية: في المؤمنين بدليل قوله تعالي: **"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"**[٣٤٥] وأعمالهم ظاهرة فيما بينهم من الصلاة والزكاة والحج وأعمال البر فلذلك زاد قوله: **(وَالْمُؤْمِنُونَ)**.

وأما **(ثُمَّ)** في الأولى فلأنها وعيد، فبين أنه لكرمه لم يؤاخذهم في الدنيا فأتي بـ **(ثُمَّ)** المؤذنة بالتراخي. والثانية: وعد فأتـى بالواو والسين المؤذنان بقرب الجزاء والثواب

---

(٣٣٩) كشف المعاني ص ٩٢، ٩٣.

(٣٤٠) الآية (٢١) سورة الأنعام.

(٣٤١) الآية (١٧) سورة يونس.

(٣٤٢) كشف المعاني ص ١٥٨.

(٣٤٣) الآية (٩٤) سورة التوبه.

(٣٤٤) الآية (١٠٥) سورةالتوبة.

(٣٤٥) الآية (١٠٣) من نفس السورة.

وبعد العقاب، فالمنافقون يؤخر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب **(ثُمَّ)**[٣٤٦].

ومن أمثلة ذلك في حروف الجر: ما ذكره في سورة البقرة حيث قال: قوله تعالي: **"قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا"**[٣٤٧] وفي آل عمران: **" قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا"**[٣٤٨] ؟

جوابه: لما صدر آية البقرة بقوله: **(قُولُوا)** وهو خطاب للمسلمين رادًا على قول أهل الكتاب: **" كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى"** قال: **" إِلَيْنَا "** ولما صدر آية آل عمران بقوله: **(قُلْ)** قال **(عَلَيْنَا)**. والفرق بينهما: أن (إِلىَ) ينتهي بها من كل جهة، و(عَلىَ) لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهي: العلو.

والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي – ﷺ – من جهة العلو خاصة، فحسن وناسب قوله: **(عَلَيْنَا)** لقوله: **(قُلْ)** مع فضل تنويع الخطاب، وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي – صلي الله عليه وسلم – بـ (عَلىَ) وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ(إلىَ)[٣٤٩].

ومن ذلك – أيضًا – ما ذكره في سورة الأعراف حيث قال: قوله تعالى:**"قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ"**[٣٥٠] وفي الشعراء: **"آَمَنْتُمْ لَهُ"**[٣٥١] ؟

جوابه: أن الضمير في **(بِهِ)** يرجع إلى **(رَبِّ الْعَالَمِينَ)** أو إلى موسي وفي **(لَهُ)** يجوز رجوعه إلى موسي أو إلى ما جاء به من الآيات، أي: لأجل ما جاء به من ذلك[٣٥٢] ا.هـ

وهكذا يعلل ابن جماعة ما جاء في الآيات المتشابهة من إبدال حرف بحرف آخر سواء كان ذلك في حروف العطف أو حروف الجر، بأسلوب دقيق، وعبارة موجزة دون إخلال بالمعني، الأمر الذي أضفى على كتابه – كما سبق – أهمية كبرى في توجيه

---

(٣٤٦) كشف المعاني ص ١٩٩.
(٣٤٧) الآية (١٣٦) سورة البقرة.
(٣٤٨) الآية (٨٤) سورة آل عمران.
(٣٤٩) كشف المعاني ص ١٠٧، ١٠٨.
(٣٥٠) الآية (١٢٣) سورة الأعراف.
(٣٥١) الآية (٤٩) سورة الشعراء.
(٣٥٢) كشف المعاني ص ١٨٣.

المتشابه، وبيان الحكمة من الإختلاف بين الآيات.

(تم بحمد الله تعالى)

الخاتمـة

بعد أن انتهيت – بعون الله تعالى – من كتابة هذا البحث عن: متشابهة النظم في القرآن واهم المصنفات فيه، أذكر بإيجاز أهم النتائج التي يمكن أن تُستخلص منه، وذلك فيما يلي:-

أولًا: أهمية علم المتشابه في كشف أسرار القرآن الكريم وإعجازه، وأيضًا في الرد على المبطلين والملحدين الذين يشككون في القرآن بسبب ما فيه من متشابه.

ثانيًا: قلة المصنفات في هذا الفن رغم أهميته، ولعل السبب في ذلك وعورة مسلكه، ودقة مباحثه وغموضها إلا لمن امتلك الأدوات، ورزق الصبر والنظر الدقيق في الآيات.

ثالثًا: أن كتاب: " درة التنزيل وغرة التأويل " للخطيب الإسكافي يعد البداية الجادة في توجيه متشابه القرآن، وبيان حكمه وأسراره، وعليه اعتمد كل الذين صنفوا في هذا الفن بعده كالكرماني، وابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة وغيرهم.

رابعا: أن المتشابه ليس مقصورًا على القصص القرآني، بل يشمل قضايا وموضوعات كثيرة في مجال العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق.

خامسًا: مكانة ابن جماعة العلمية والاجتماعية، ولا أدل على ذلك من كثرة مؤلفاته في الفنون المختلفة، وكذا وظائفه التي تولاها كالتدريس والقضاء والخطابة وغيرها.

سادسًا: أهمية كتاب (كشف المعاني) لابن جماعة في توجيه المتشابه، وترجع أهميته إلى سلاسة أسلوبه، وتنظيمه للآيات المتشابهة على صورة أسئلة وأجوبة..

سابعا: أن المراد بالمتشابه الذي عُنى به ابن جماعة في كتابه، وكل من صنف في هذا الفن هو المتشابه اللفظي، وهو غير المتشابه المعنوي الذى جاء في مقابلة (المحكم)

ثامنا: تأثر ابن جماعة الواضح بمن سبقه من العلماء كالزمخشري والفخر الرازي وغيرهما، وتأثيره فيمن جاء بعده كالسيوطي وزكريا الأنصاري وغيرهما.

تاسعا: أن المنهج الذي اتبعه ابن جماعة في كتابه هو المنهج العلمي المبني على الإيجاز والاختصار دون الإخلال بالمعنى، وهذا يرجع إلى نبوغه وبراعته في توجيه هذا اللون الدقيق من ألوان التفسير.

عاشرًا: انفراد ابن جماعة بتوجيه بعض المسائل التي لم يعرض لها غيره، وهذا يدل على تفرده واستقلاليته.

حادي عشر: تميز ابن جماعة ومقدرته العلمية في توجيه الآيات المتشابهة واستنباط الحكم المناسب منها.

ثاني عشر: كثرة المصادر التي اعتمد عليها ابن جماعة في توجيه المتشابه مثل القرآن الكريم، والسنة، واللغة وغيرها... إلى غير ذلك من النتائج التي يمكن أن تستخلص من البحث.

" رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد على أله وصحبه أجمعين.

* * *

أهم مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي طبعة دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري، نشر المكتبة التوفيقية.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام أبي الحسن بن الأثير الجزري طبعة دار الفكر، بيروت سنة ١٩٧٠م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني طبعة دار الفضيلة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا.
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار نهضة مصر سنة ١٩٧٢م بتحقيق على محمد البجاوي.
- الأعلام لخير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي، طبعة المطبعة الوهابية، مصر سنة ١٢٨٣ هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار الفكر، بيروت سنة ١٩٨٢م بتحقيق محمد شرف الدين.
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، مطبعة السعادة مصر سنة ١٩٧٥ م.
- البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشي طبعة دار الحديث، القاهرة سنة ١٤٢٧ هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة١٤١٦هـ بتحقيق محمد علي النجار
- تاريخ ابن الوردي، منحة المختصر في أخبار البشر لزين الدين بن الوردي طبعة المطبعة المحمدية بالعراق سنة ١٣٨٩ هـ.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام للإمام بدر الدين بن جماعة نشر رئاسة المحاكم الشرعية بقطر سنة ١٩٨٤م بتحقيق د/ فؤاد عبد المنعم أحمد.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، طبعة دار الفكر العربي.
- تفسير الكبير للفخر الرازي طبعة دار الكتب العلميه – بيروت.
- تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٢ هـ بتعليق السيد بن عبد المقصود.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبعة دار الريان للتراث.
- جامع البيان في متشابه القرآن للدكتور أبو سريع محمد أبو سريع طبعة دار الطباعة المحمدية، القاهرة سنة ١٤١٢ هـ.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، طبعة إحياء التراث العربي، بيروت سنة

١٣٥٠ هـ.

- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٣٣ هـ.

- السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي المقريزي، لجنة التأليف والنشر، مصر سنة ١٩٤١ م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، مكتبة القدس، مصر سنة ١٣٥٠ هـ.

- صفوة البيان في متشابه النظم في القرآن للدكتور السيد إسماعيل على إسماعيل، مطبعة عباد الرحمن ١٤٣٣هـ، الطبعة الثالثة.

- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، هجر للطباعة سنة ١٤١٣هـ القاهرة، بتحقيق محمد محمد الطناحي.

- طبقات المفسرين للداوودي، مكتبة وهبة، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ، تحقيق على محمد عمر.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، مكتبة الإيمان، القاهرة بتحقيق بهاء الدين عبد الموجود.

- الفهرست لابن النديم، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر.

- القاضي بدر الدين بن جماعة، حياته وآثاره للدكتور عبد الجواد خلف، طبعة دار البيان سنة ١٤٢٧هـ.

- القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤١٤هـ.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله الزمخشري، طبعة دار الحديث بالقاهرة ٢٠١٢ م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفه، طبعة دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني للإمام بدر الدين بن جماعة طبعة دار الوفاء بتحقيق عبد الجواد خلف.

- كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة، طبعة دار المنار سنة ١٤١٨ هـ بتحقيق الدكتور محمد محمد داود.

- كشف المعاني في المتشابه المثاني لابن جماعة، تحقيق ودراسة الباحثة مني محمد علي، رسالة ماجستير في البلاغة سنة ١٩٨٧ م، مودعة بمكتبة جامعة الأزهر تحت رقم (١٣٦٥).

- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف سنة ١٩٨١م..

- متشابه النظم في قصص القرآن الكريم، مقارنة وتحليل للدكتور عبد الغني عوض الراجحي، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة تحت رقم (٢٠٨٤).

- متشابه النظم في القرآن الكريم، الدكتور عبد العزيز حسن خضر رسالة دكتوراه سنة ١٩٨٤م، مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة تحت رقم(٧٠٣٢).

- مختار الصحاح للرازي، مطبعة الحلبي.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي، منشورات الأعلى للمطبوعات، بيروت سنة ١٣٩٠هـ.

- مسائل الرازي، لمحمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العلمية، لاهور سنة ١٩٨٠ م.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري طبعة دار المعرفة، بيروت سنة ١٩٨٦ م.
- مسند الإمام أحمد.
- مشتبهات القرآن لأبي الحسن على بن حمزة الكسائي، طبعة دار المنار سنة ١٤١٨ هـ بتحقيق الدكتور محمد محمد داوود.
- المصباح المنير للفيومي طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٥ م.
- معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي طبعة المختار الاسلامي القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لأحمد بن مصطفي طاش كبري زاده، دار الكتب الحديثة، مصر سنة ١٩٦٨ م.
- منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان لمحمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني طبعة الحلبي سنة ١٣٨١ هـ الطبعة الأخيرة بتحقيق محمد سيد كيلاني.
- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية طبعة مطبعة الرسالة.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للإمام أبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ م.
- موطأ الإمام مالك بن أنس وشرحه تنوير الحوالك طبعة الحلبي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٧٠ هـ.
- هدية العارفين لإسماعيل باشا، وكالة المعارف، إستنبول سنة ١٩٤٣م.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، نشر جمعية المستشرفين الألمانية سنة ١٩٣١ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ملخص البحث ١٤١٥
مقدمة ١٤١٧
المبحث الأول: معنى التشابه وأهم المصنفات فيه ١٤١٩
المبحث الثاني: التعريف بالإمام بدر الدين بن جماعة..... ١٤٣٣
المبحث الثالث: التعريف بكتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني١٤٤٤
المبحث الرابع: منهج ابن جماعة في تفسير المتشابهات من خلال
كتاب «كشف المعاني» ١٤٦٢

الخاتمة..... ١٤٩٩
فهرس المراجع..... ١٥٠٢
فهرس الموضوعات ١٥٠٦

* * *